وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية: العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم: التاريخ

الرقم التسلسلي:.....

رقم التسجيل:171735094168

التواجد العثماني في الجزائر وجدلية الحماية أم الاحتلال (1519-1830م): عرض لبعض آراء المؤرخين الجزائريين والفرنسيين

مقدمة لنيل شهادة الماستر LMD في تخصص: تاريخ الجزائر الحديث

إعدادالطالب: إشراف الدكتور :

علاء الدين مقورة قوادرية النذير

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
1				رئيسا
2				مشرفا ومقررا
3				ممتحنا

السنة الجامعية: 2022/2021

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

شكر وتقدير

إلى الــوالدين الكــريمــين ،،

إلى د. دري سميحة على مساعدتها ونصائحها

إلى د.الــنذير قوادرية ،، على النصائح والتوجيه والإشراف

إلى إخوتي "إبتسام ، وئام ، هيثم ، مرام و نـــور"

وإلى صديق العمر "نجاعي وليد"

وشكر خاص للأستاذ والصديق "د.زكريـاء بخـتي"

عــلاء الــدين مــقورة

Université Mohamed Boudiaf - M'sila

إهداء

إلى أستاذة مادة الاجتماعيات التي حاولت النيل مني أيام المرحلة الثانوية !

إلى معطفي البني الذي مل مني ، إلى تلك الـ 50 دج التي وجدتها صدفة في في جيبي ، و أنقذتني من الصداع في سنتي الأولى في الجامعة!

إلى كل شخص مر عبثا في حياتي !

إلى كل خيبة عشتها ، إلى كل درس تعلمته رغما عني ، إلى كل المنافقين الذين الذين عرفتهم .

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

مقدّمة

- **مقدمة:**

تشكل الحقبة العثمانية 1519- 1830 في الجزائر حلقة وصل بين الاستعمار الفرنسي للجزائر و انهيار آخر دولة إسلامية في المغرب الإسلامي ، فالوجود العثماني في الجزائر جاء نتيجة طلب سكان الجزائر النجدة من الإخوة بربروس عقب الاعتداءات المتكررة التي طالت السواحل الجزائرية أو مايسمى بالغزو الايبيري ولكن رغم أن بدايات مجيء الأتراك للجزائر كانت نتيجة طلب السكان إلا أن الجدل قائم لحد الساعة حول طبيعة الحكم العثماني في الجزائر. ومنه وجب علينا أن نطرح الإشكالية التالية هل كان الوجود العثماني في الجزائر حماية أم احتلال ؟

_ طرح الإشكالية:

_ومنه وجب علينا أن نطرح الإشكالية التالية هل كان الوجود العثماني في الجزائر حماية أم احتلال ؟

_ وهل كان الوجود العثماني في الجزائر نعمة ؟

- **أم كان نقمة ؟**
- **أم كان نعمة تخللتها سلبيات ؟**

- **المنهج المتبع:**
- لقد اعتمدت في هذا البحث على المنهجين التاريخي والوصفي لأنهما الأنسب في تتبع الأحداث التاريخية زماناً ومكاناً، ووصفها، وتفسير الأحداث التاريخية، فحين يريد الباحث أن يدرس ظاهرة ما فإن أول خطوة يقوم بها هي وصف الظاهرة التي يريد دراستها وجمع أوصاف ومعلومات دقيقة عنها.

- ويعتمد المنهج التاريخي إذاً على مراجعة الماضي من خلال آثاره المختلفة، ومن ثم تحديد مشكلة موضوع البحث مع وضع الفروض المختلفة لها، مع تحليل البيانات والمعلومات المتعلقة بها، ثم يقوم باختبار الفروض المختلفة حتى تتضح مجالات الاتفاق والاختلاف بينهما مع الأدلة التاريخية التي حصل عليها، مع عرض النتائج للنقد والتحليل للتعرف على مصداقيتها ودقتها، **ويعتمد على النقد والتحليل.**
- **الخطة المتبعة:**

قسمت هذا العرض الأكاديمي إلى ثلاث فصول عنونت الفصل الأول بـــ أوضاع الجزائر قبيل مجيء العثمانيين في حين عنونت المبحث الأول بـــ الأول الأوضاع السياسية في الجزائر قبيل مجيء العثمانيين في حين عنونت المبحث الثاني بـــ الاوضاع الاقتصادية في الجزائر وختمت هذا الفصل الذي كان بمثابة مدخل حاب بالتطرق في المبحث الثالث إلى الاوضاع الخارجية قبيل مجيء العثمانيين .

وعنونت الفصل الثاني بـــ العثمانيون خلفيات ومراحل قدومهم غرب المتوسط ، في حين عنونت المبحث الأول منشأ وبدايات الإخوة بربروس أما المبحث الثاني فقد عنونته بـــ نشاط الإخوة بربروس في الحوض الغربي للبحر المتوسط أما المبحث الثالث فعنونته بـــ نتائج الوجود العثماني في الجزائر.

أما بخصوص الفصل الثالث عنونته عرض آراء المؤرخين الجزائريين والفرنسيين حيث كان المبحث الأول بـــ الرأي الأول: الوجود العثماني بالجزائر حماية أما المبحث الثاني الرأي الثاني: الوجود العثماني بالجزائر احتلال أما المبحث الثالث عنونته بـــ مقارنة بين الحماية والاحتلال.

- **مراجع ومصادر الموضوع:**
- واعتمدت في هذا البحث جملة من المصادر والمراجع أهمها:
- 1-المذكرات الشخصية: وهي لشخصيات تعتبر طرفًا مهمًا وبارزاً في الأحداث، بحيث كان لهذه المذكرات دورًا في إثراء البحث مثل: مذكرات خير الدين بربروس، مذكرات ويليام شالر القنصل الأمريكي بالجزائر.

- 2-أما عن المراجع: فقد اعتمدت على كتب كل من: محمد دراج، الدخول العثماني للجزائر ودور الإخوة بربروس 1512-1543، ويليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر1510-1541، ابو القاسم سعد الله، ابحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ابوالقاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830
- **3**-المقالات الأكاديمية: وهي الأخرى أفادتني كثيراً رغم أنها تعد مراجع ثانوية في البحث الأكاديمي.
- لقد حفزتنا كثيرا تلك المصادر والمراجع حول التاريخ العثماني بالجزائر، لكن هذه الحوافز اصطدمت ببعض **الصعوبات** أهمها:

- 1-قلة الكتابات التي اهتمت بطبيعة الوجود العثماني بالجزائر، مما صعب علينا الخروج برؤية واضحة حول طبيعة هذا التواجد.
- 2-تكرار المعلومات في الكثير من المصادر والمراجع.

وفي النهاية الشكر الجزيل للأستاذ المشرف ولكل من ساهم في إنجاز هذا العمل .

مدخل عام:

أوضاع الجزائر قبل مجيء العثمانيين

المبحث الأول : الأوضاع السياسية قبل مجيء العثمانيين

المبحث الثاني : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية قبيل مجيء العثمانيين

المبحث الثالث : الأوضاع الخارجية قبيل مجيء العثمانيين

1- الأوضاع السياسية قبل مجيء العثمانيين :

عقب انهيار دولة الموحدين سن 1269 م عرف المغرب الإسلامي تضعضعا وانقساما كبيرين وأدى هذا الانقسام بالقائد يغمراسن بن زيان إلى تأسيس دولة الزيانين أو بني زيان (1236 -1283م) ، التي تعرف أيضا بدولة بني عبد الوادي وكان ذلك سنة 1235 م، التي اتخذت من تلمسان عاصمة لها، لكن هذه الدولة لم تعرف استقرارا مطول إلا في فترات قصيرة كونها تقع بين قوتين: الأولى شرقية ممثلة في دولة الحفصيين و الثانية غربية ممثلة في دولة بني مرين، حيث كانت دولة الزيانيين دائما محط أطماع جيرانها[1].

المرينيون كانوا يسعون للتوسع شرقا ضاربين الجيرة مع بني زيان عرض الحائط ، والأطماع من الجارة الغربية لم تنته بنهاية المرينين بل حتى خلفهم الوطاسيين الذين استمروا في الأطماع اتجاه الدولة الزيانية ، وهذا يعني أن العمل على إضعاف الدولة الزيانية كان مستمرا ومتوارثا من طرف الجارة الغربية بهدف السيطرة على المغرب الأوسط بشكل كلي وتوسيع مناطق النفوذ أكثر فأكثر، مما أزّم وضعية المغرب الإسلامي بطبيعة الحال، وجعله فريسة سهلة للغزو الإيبيري والسطو الصليبي[2].

بينما بنو زيّان لم يترددوا في شحذ همم الطامعين داخل سرايا الحكم المريني، وبالتالي فإن النوايا بين الطرفين كانت مبيتة وخفية وكل منهما عبر عنها اتجاه الآخر بطريقته، حتى بلغ العداء بين المرينيين والزيانيين إلى مستوى أن الدولة الزيانية هاجمت مدن مرينية وألحقت بها نصيبا كبيرا من الخراب ، مما جعل المرينيون يعتبرون دولة بني عبد الواد مصدر إزعاج وقلق، ومصدر تهديد يحول أمام طموح المرينين ويكبح جماحهم في التوسع شرقا، وهذا ما

---

[1] ابن خلدون ، كتاب العبر الجزء 7 ، دار الفكر، بيروت ، لبنان، 2000 ، ص ص 176 -178

[2] دراج محمد، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس ، تصدير ناصر الدين سعيدوني، الأصالة للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2012 ، ص 85

أدى بشكل مباشر إلى غزو تلمسان عدة مرات بغية زعزعة ملك بنو زيان ، حيث دام في أحد المرات إحتلال المرينين لدولة تلمسان مدة 12 سنة كاملة أي من فترة (1337-1348م) .[1]

تمكن الزيانيون من إنقاذ عرشهم من براثن بنو مرين ولكن هذا الانعتاق لم يدم طويلا سوى 04 سنوات ليعيد بنو مرين المحاولة سنة 1352 م، ويستمر احتلال تلمسان إلى 1358 م أي 06 سنوات كاملة، إلى أن أعاد أبو حمو موسى بن يوسف[2] إحياء الدولة الزيانية من جديد، وكان ذلك سنة 1359 م ودام قرابة 30 سنة، إلا أن الجارة الغربية لم يهدأ لها بال حتى أعادت احتلال مدينة تلمسان قلعة الحكم الزياني مرة أخرى سنة 1388 م، وتشير العديد من المصادر التاريخية إلى وجود خطبة باسم المرينين قرأت على منابر مساجد تلمسان سنة 1392 م، وبالتالي فالعلاقة مع الجارة الغربية كان يطبعها الصراع والتوسع.

أما العلاقة مع الجارة الشرقية المتمثلة في بنو حفص فلم تكن هي الأخرى في أحسن، حيث كان كل طرف متوجساً وخائفا ومتربصا من الطرف الآخر، ويقتنص اللحظة المناسبة لينقض عليه ليمد نفوذه على حسابه، وهذا الصراع مهد الطريق على بساط أحمر للأعداء على الضفة الأخرى للبحر الأبيض المتوسط، ليعملوا ذبحا وتقتيلا في المسلمين مطاردين إياهم حتى شواطئ شمال إفريقيا، واستمر هذا الوضع حتى بعد سقوط غرناطة سنة 1492 م، إلا أن هذا الضعف هو جزء من ضعف العالم الإسلامي ككل الذي ضمر وضعف مقابل صعود أوروبي صليبي ونهضة خارقة غير مسبوقة، وهذا ما وصفه العلامة الراحل مالك بن نبي بإنسان ما بعد الموحدين [3]، وقال في كتابه وجهة العالم الإسلامي: «**إن التركيب**

---

[1] دراج محمد، مرجع سابق، ص 85.

[2] محمد دراج ، مرجع سابق ، ص 85

[3] عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، موسوعة تاريخ المغرب العربي ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، المجلد 03 ، الجزء الخامس والسادس ، 1994، ص 143

الأساسي نفسه قد تحلل فتحللت معه الحياة الاجتماعية، وأخلت مكانها للحياة البدائية ، ويؤرخ لتلك الظاهرة في التاريخ الإسلامي بسقوط دولة الموحدين، الذي كان في حقيقته سقوط حضارة لفظت آخر أنفاسها»[1].

وقد عانى المغرب الإسلامي قبيل مجيء العثمانين ضعفاً غير مسبوق، ففي عهد ابن تاشفين الأول (1318-1337 م)، تمكن الزيانيون من بسط سيطرتهم على المغرب الأوسط جلّه واحتلوا جزء من الدولة الحفصية، مما أضطر بني حفص إلى التحالف مع الجارة الغربية حيث استجاب أبو حفص المريني لدعوتهم وحاصر الحلفاء مدينة تلمسان سنة 1334 م.

وفي فترة حكم أبي حمو الثاني وصل النفوذ الزياني [2]إلى بجاية في عهد الملك الحفصي أبي فارس سنة 1394-1434م، وخليفته عثمان 1435 - 1488م، تمكن بنو حفص من الانتصار على الزيانيين و ووضع عميل لهم على العرش.

إن الموقع الطبيعي والجغرافي لحكم الزيانيين بين قوتين تسيطران على المغرب العربي، الحفصيون شرقا والمرينيون غربا، ثم خلفهم بنو وطّاس بعد مدة جعلت مملكة بني زيان عرضة للنار والدمار في أي لحظة، وجعلها تعيش حالة كبيرة من عدم الاستقرار، وحروب ضارية مستمرة مع القبائل وحتى السكّان المحليين، وهذه الظروف الداخلية والخارجية، حالت دون أن تكون الدولة الزيانية قوة نافذة في المنطقة، ولم يكن لها دورا قويا في الأحداث التي تدور حولها من بينها الأندلس، فقد كانت تعيش حربا ضروسا أدت إلى حدوث فوضى واضطرابات غيرت مجرى التاريخ كسقوط غرناطة 1492م، الذي كان بمثابة نقطة تحول

[1] مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، 1986، ص 36.

[2] عبد الفتاح مقلد الغنيمي، مرجع سابق، ص، 144.

في العالم الإسلامي شأنها شأن سقوط دولة الموحدين، فسقوط غرناطة كان من بين أسباب الغزوالإيبيري لشمال إفريقيا، حيث طارد الإيبيريون المسلميين الفارين من محاكم التفتيش إلى شمال إفريقيا، توحد مملكتي قشتالة والآراغون لمطاردة المسلمين في إطار حروب الاسترداد.

مملكة بني عبد الواد[1]. والدولة الزيانية لم يكن لها خبرة في الجهاد الإسلامي سواء برياً أم بحريا والذود عن المنطقة، كما لا تتوفر فيها مقومات الدولة بقدر ماهي عشيرة، أو كيان سياسي " ضعيف " محدود القوة ضائع وتائه بين قوتين، كل منهما يسعى إلى السيطرة على المنطقة و سحق الطرف الآخر نهائيا وإلغائه، وهذا الوضع الصعب كبل بني زيان وجعلهم عرضة للنفوذ الحفصي تارة والنفوذ المريني تارة أخرى ويستقلون في مرات قليلة، واستعان بنو زيان في بعض الأحيان بالحفصيين ضد المريينين وبالمرينين ضد الحفصيين، وفقا للمصالح المشتركة التي تغيب حين يضعف هؤلاء فيتخلى بنو زيان عن كليهما[2].

فليس هناك وصف لحالة الدولة الزيانية من مقولة الرحالة حسن الوزان: « ...**وقد استقر الملك في بني زيان ثلاثمائة سنة ، غير أنهم اضطهدوا من قبل ملوك فاس الذين دخلوا مملكة تلمسان عشر مرات ، حسبما ما جاء في التاريخ . وكان مصير ملوك بنو زيان حينئذ إما القتل ، أو الأسر ، أو الفرار عند جيرانهم الأعراب. وتعرضوا أحيانا أخرى إلى الطرد من قبل ملوك تونس الحفصيين**»[3]

ويمكننا القول أن العوامل التي ذكرناها سابقا، حالت دون قيام دولة قوية في المغرب الأوسط وهذا مايؤكده دكتور محمد دراج: «**أن بقاء هذه الدولة كل هذه المدة يعتبر معجزة تاريخية**»[4]،

---

[1] ابن خلدون، مرجع سابق، ص، 140

[1] عبد الفتاح مقلد الغنيمي، مرجع سابق، ص، 116.

[3] محمد رزوق ، دراسات في تاريخ المغرب، ط1، الناشر إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1991، ص 49.

[4] محمد دراج ، مرجع سابق، ص 90.

والتفسير لبقائها هذه المدة كاملة هو نتيجة التناقضات التي كانت تعيشها المنطقة ، بعد سقوط دولة الموحدين ، وبالتالي فإن سقوط الموحدين كان بداية الشتات، وخاصة الفترة التي كانت بين سقوط الموحدين ومجيء العثمانيين فأقل ما يقال عنها فترة فوضى واضطرابات عاشه المغرب العربي، ومن جهة أخرى لا يمكنن إلصاق الضعف الزياني في الظروف الخارجية فقط ، بل كانت تعيش صراعا داخليا خاصة مطلع القرن 16 م، وبحلول سنة 1503 م أسقط العم أبو حمو الثالث ابن أخيه أبو زيان المسعود من على العرش، وسجنه واستولى على الحكم ، ليفر شقيق السلطان الشرعي نحو فاس طالبا النجدة والأمان من الملك الوطاسي، لتقوم ثورة ضد عمه بوشاية إسبانية محضة، في الوقت استولى فيه الإسبان على المرسى الكبير سنة 1509م.

وخلال هذه الفترة تمكن الزيانيون من السيطرة على القسم الغربي من الجزائر، أما القسم الشرقي كتحت سيطرة الحفصيون، أما مابقي من المنطقة فكان عبارة عن وحدات متنافرة ومتناحرة، أما بالنسبة للمدن الساحلية فكانت تحت إمارة زياني إنشق عن أهله أو تحت سلطة الحفصيين .

1 – أ الاحتلال الإسباني لسواحل الجزائر :

إن تلك الظروف التي عاشها المغرب الإسلامي ، وفّرت مناخاً ملائما للأطماع الإسبانية والبرتغالية وأدت إلى احتلال السواحل الجزائرية ، ضمن أهداف أهداف محددة وفي سنة 1494 م عقد البرتغال وإسبانيا اتفاقية لتقسيم مناطق النفوذ بينهما وسميت هذه الاتفاقية باتفاقية "توردي سلاس " "TORDESILLAS".

والتي تضمت تقسيم المستعمرات والغنائم بحيث كانت المناطق الشرقية من نصيب البرتغال، فيما كانت الغربية من حصة إسبانيا وبخصوص الشمال الإفريقي فقد ولدت إتفاقية جديدة الخاسر فيها سكان المغرب العربي وكان ذلك سنة 1509 م وحملت إسم "فيلا فرنكا" قسمت على إثرها المستعمرات من جديد وحصلت إسبانيا على الشرق " الجزائر ، تونس ، طرابلس" والبرتغال في الغرب أي" المغرب "، فشرعت إسبانيا في احتلال الجزائر منذ إتفاقية 1494 م ، وتونس وطرابلس واحتل المرسى الكبير وميناء وهران قبل اتفاقية "فيلا فرنكا" والتي تمت بمباركة البابا[1] والكنيسة وهذا لإعطاء للتحرش الإسباني صبغة دينية لشرعنة الاستعمار طبعا لمدن المغرب الإسلامي.

وكلفت الملكة إيزابيلا [2] أتباعها بمهمة استطلاعية لمدينة تلمسان وقلعة بني زيان لاحتلالها ، حيث تنكر الجواسيس في ثوب تجار ومكثوا حسب العديد من المصادر سنة كاملة وأعدوا تقريرا كاملا جمعوا فيه المعلومات اللازمة للغزو الذي كان قاب قوسين أو أدنى من الاندلاع الرسمي ، وكانت المعلومات التي أعدها الجواسيس بداية الحملة التي أعدت لها قوة كبيرة بقيادة حاكم غرناطة ، ولكن حدث مالم يكن في

[1] عبد الفتاح مقلد الغنيمي، مرجع سابق، ص81.

[2] محمد دراج، مرجع سابق ، ص 101

الحسبان حين توفيت الملكة إيزابيلا سنة 1504 م مما جعل الحملة تتأخر ، والعجيب في الأمر أنها قبل وفاتها أوصت بإكمال الحملة واستعمار شمال إفريقيا.

وكان الملك فرديناند يرغب في تأجيل الحملة إلا أن سعي البحارة المسلمين الجامح في الانتقام لمسلمي الأندلس بالإغارة على السواحل الإسبانية جعل سواحل المغرب الإسلامي نقطة انطلاقهم عجل بالحملة وتنفيذها بأقصى سرعة ومن هنا بدأت التحرشات الإسبانية رسميا، وأعدت العدة من أجل إنجاحها برعاية بابوية بإمتياز حيث سخر لها قساوسة ورهبان وكنوز مسيحية ضخمة لتزويد جيوش الحملة التي تهدد سواحل المغرب الإسلامي[1].

واحتل المرسى الكبير سنة 1505 م ، نظرا لأبعاده الاقتصادية الخاصة والخاصة جدا وقربه من مدينة وهران والأهم قربه من إسبانيا وهذا ما جعله هدفا رئيسيا للحملة الإسبانية حيث وصل الأسطول الإسباني إلى المرسى الكبير وهو يحمل 5000 جندي وحدث طارئ جعل الرجال المسخرين لحماية المرسى يتراجعون تاركين فقط 500 رجل للاستطلاع والمراقبة [2]

وانتهت هذه الأحداث باحتلال المرسى الكبير ، فمكر العدو الإسباني فاق كل الحدود وسعى جاهدا إلى استغلال التناقضات الداخلية والتنافر بين الأطراف المتصارعة ليبث سهامه السامة صوب بقية التراب الوطني المقسم بين مناطق نفوذ مختلفة فهذه المرة وقع الاختيار على مدينة تنس 1507 م وإخضاعها عنوة إلى السلطة الإسبانية ، فليس فقط الطغاة من يجلبو ن الغزاة بل حتى الخونة والمندسين ، فقد ساهمت هاته الفئة بنسبة كبيرة جدا في توطيد حكمهم عن طريق تطبيق سياسة فرق تسد داخل البيت

[1] محمد خيري فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط1، 1969 ، ص 18

[2] محمد خيري فارس، مرجع سابق، ص18

الزياني المهلهل أساسا ، وكان الهدف وراء هذا تحويل أنظار بني زيان عن مواجهة الاحتلال من خلال تشتيت جهودها وبعثرة قواهم في الصراع على الحكم.

شهدت هذه المرحلة فوضى كبيرة وعدم استقرار مشهود في تاريخ المغرب الأوسط وهذا ما وفّر المناخ الملائم لغزاة خلف المتوسط من أن يبسطوا سيطرتهم شبه الكاملة حيث دعموا الأمير يحيى الثابتي ، ضد عمه أبي حمو الثالث وهذا تأديباً له على محاولته صد احتلال المرسى الكبير ومن هنا أصبحت تنس خاضعة خضوعا تاما دون أدنى مقاومة يذكرها التاريخ والمصادر .[1]

استمر الاحتلال الاسباني في نخر الجزء الغربي من المغرب الأوسط على مرأى ومسمع من بنو زيان الذين خارت قواهم وجهودهم ، ففي 1508م عين خيمنيس قائدا عاما على الحملة الـتي ستحتل وهران من طرف فرديناند الملك الإسباني كون وهران إحدى أكبر المدن وقريبة جدا من إسبانيا بالتالي أن إحتلالها كان مبني على مخطط إستراتيجي دامي ، أبحرت الحملة من ميناء قرطاجنة الإسباني متوجهة في ماي 1509 م محملة بالعدد والعدة حيث كان على متنها 15 ألف جندي .[2]

محملين على 33 باخرة حربية إضافة إلى مجموعة زوارق صغيرة نحو سواحل وهران فنزلت هاته القوات إلى البر بعد التعزيزات القادمة من المرسى الكبيرة واشتبك السكّان المحليون مع الإسبان على مداخل المدينة ، وفي حين أن المعركة حامية الوطيس وكما ذكرت سابقا أن الخونة من يمهدون للاحتلال ، اشترى حاكم المرسى الكبير ذمة

[1] شارل أندري جوليان ، تاريخ إفريقيا الشمالية ، الجزء الثاني الدار التونسية للنشر ، 1983، ص 323

[2] أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا1492 -1792، ط3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 110

أحد اليهود القادمين من الأندلس الفارين نحو وهران وحسب عدة مصادر فهذا اليهودي يدعى شطور[1]

وكان يعمل في الضرائب داخل المدينة وقام اليهودي بالإتفاق مع مجموعة من أتباعه بفتح إحدى بوابات مدينة وهران ليدخل عبرها الجنود الأسبان وهذا ما تم فعلا ودخل الإسبان إلى مدينة وهران ليعملوا في السكان قتلا وذبحا دون أي رحمة واستمر الدفاع عن وهران 05 أيام من داخل حرم المسجد محتمين به لكن دون جدوة وسقطت وهران مخلفة 4000 ضحية من المسلمين الجزائريين وأسر قرابة 8000 شخص تم ترحيلهم صوب إسبانيا ، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد فقد تم السطو على 24 مليون دينار ذهبي[2] .

في عملية تشبه إلى حد كبير ما قام به لافيجري زمن الاستعمار الفرنسي فيما بعد ، فسقوط وهران لم يكن سقوط مدينة فقط بل أسس لغزو جميع القبائل المحيطة بها وإخضاعها بالقوة إلى السلطان الإسباني ، إضافة أن هذا السقوط قاد الملك الزياني أبي حمو الثالث إلى إعلان ولائه المطلق إلى الإسبان على أن يدفع لهم الجزية السنوية وقدرت بـ 12 ألف دوقة ذهبية إضافة لكماليات أخرى

ولم يختلف حال بجاية عن حال بقية المدن فقد كانت تحتضر هي الأخرى ، شأنها شأن دولة بني زيان ، نتيجة الصراع المحتدم على العرش والسلطة والذي كان علامة مسجلة في تلك الفترة ولم يفوت الغزاة الأسبان هذه الفرصة الثمينة لقصم ظهور أهالي بجاية ومباغتتهم من أجل السيطرة الكلية على المدينة ، وجعلوا من وهران قاعدة

[1] نفسه ،ص 111

[2] المدني، حرب الثلاث مئة سنة بين الجزائر وإسبانيا ، ص 111

لانطلاقهم لاحتلال بجاية ليجعلوها هي الأخرى قاعدة لاحتلال الشرق الجزائري ، من أجل وضع حد للتقدم العثماني غرب المتوسط [1].

وفي مطلع جانفي 1510 م وصل الأسطول المشكّل من حوالي 20 سفينة تقل على ظهورها 10 آلاف مقاتل ، وكان سكّان بجاية على علم بما حدث لمدينة وهران فأعدوا العدة لـ تحصين مدينتهم من خلال المرابطة في المرتفعات لمنع المد الإسباني من دخولها ، فتبادلت مدافع البجاويين و الأسبان الطلقات النارية وحسب مصادر تاريخية فقد كانت الغلبة للأسبان كون مدافعهم قوية وتحت قيادة منظّمة متخندقة تحت لواء واحد في حين كانت قوات البجاويين منهارة مشتتة فلم تصمد مدافعهم إلا قليلا حتى تمكن الأسبان من اختراق المدينة .[2]

ويذكر دكتور محمد دراج أنه تم تهريب الأطفال والنساء والعجزة إلى مدينة جيجل المجاورة ، ولكن مباغتة الأسبان كانت أسبق من خلال بث جنودهم في المرتفعات لمنع وصول الإمدادات لسكان بجاية أو أي نجدة ، فاشتدت المعركة بينهم وبين الأسبان حيث أخذوا يتسلقون المرتفعات المحيطة بالمدينة ، في حين كان الإسبان يقتحمون المدينة من جهة الساحل ، ليلتقي الطرفان وسط المدينة لينسحبوا في مابعد من أجل الاستمرار في المقاومة بهدف صد الإسبان من التغلغل داخل البلاد[3]

قام الأسبا ن بارتكاب مجزرة قل نظيرها في حق السكّان وكل من وجدوه في طريقهم مسرفين في القتل والذبح كما فعلوا في وهران الذي حيث كانوا يقتلون بوحشية وبدموية

[1] احمد توفيق المدني، حرب الثلاث مئة سنة بين الجزائر وإسبانيا ، ص 119

[2] بسام العسلي ، خير الدين بربروس وجهاده في البحر ،دار النفائس ، 1980 ، ص 69

[3] محمد دراج، مرجع سابق، ص 112

كبيرة فأسفرت المعركة عن مقتل 4.1 ألف قتيل ناهيك عن نهب وسلب كنوز المدينة وتحويلها إلى بلدهم عبر أسطول مخصص لهذا[1]

وخلال هذه الفترة تمكن الأسبان من تثبيت أركانهم ووجودهم داخل الجزائر ، من خلال سياسة اللين المزيف مع الأهالي للتخفيف من الضغط والمعارضة ، وتمكنوا من احتلال مدينة عنابة ولم تذكر المصادر المتخصصة أنه كانت هناك مقاومة تذكر ضد الأسبان وهذا ما سهل لهم التقتيل والنهب في سكّان المدينة شأنها شأن المدن الأخرى التي سقطت في أيديهم، وكان سقوط مدينة الجزائر سنة 1511 م تتمة لمسار السيطرة الإسبانية على الجزائر ، فرغم أنها كانت مدينة مستقلة تابعة بشكل نظري إلى مملكة بجاية وكان على رأسها سليم التومي [2]، كبير قبيلة الثعالبة التي كانت تستوطن سهول متيجة ومدينة الجزائر.[3]

وبعد أيام من سقوط بجاية توجه وفد من مدينة الجزائر على رأسه سليم التومي إلى قائد الحملة الإسبانية "نافارو" انتهت المفاوضات على أن يعقد صلح وسلام بين بجاية والأسبان ، إضافة إلى تعهد الجزائريين بإطلاق سراح الأسرى المسيحين وكذلك ترك السفن الإسبانية وشأنها.[4]

ولم يخلو هذا الاجتماع من الغطرسة الإسبانية فقد أجبروا الوفد الجزائري على دفع جزية سنوية لحاكم بجاية الإسباني بنفس القيمة التي كانوا يدفعونها إلى ملك بجاية السابق وهذا إعترافا منهم بالتبعية له ، وبالمقابل لا يتعرض الإسبان ولا بأي شكل من الأشكال وفي سنة 1511 سافر الوفد الجزائري إلى إسبانيا للاتفاق على تسليم أكبر

[1] أحمد توفيق المدني، حرب الثلاث مئة سنة بين الجزائر وإسبانيا، ص 122

[2]

[3] محمد مبارك الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، الجزء الثالث ، مكتبة النهضة الجزائرية ، ص 43

[4] محمد دراج، مرجع سابق، ص115

الجزر التابعة إلى الجزائر إلى إسبانيا وهذا لتكون قلعة لهم لحراسة السفن التجارية الإسبانية ولضمان حرية تنقلاتهم البحرية وتجعل في نفي الوقت مدينة الجزائر تحت مراقبتهم، وتم ذلك فعلا فبماشرة بعد التوقع شرع الأسبان في بناء قلعتهم في الجزيرة المجاورة لمدينة الجزائر ولم تأت سنة 1512 م ، حتى كانت جل السواحل الجزائرية تحت رحمة الاحتلال إما عن طريق استعمال القوة العسكرية او الخضوع الطوعي للتسلط الإسباني . وكانت طريقة خضوع مستغانم في ذات السنة أي 1511 م مشابهة بشكل كبير جدا إلى سقوط الجزائر ، حيث إتصل أهالي مستغانم بالأسبان كما اتصل بهم أهالي مدينة الجزائر[1]

تحدثنا عن احتلال السواحل الجزائرية دون الإمعان في الدوافع التي أدت بالأسبان إلى شن تلك الحملات الهمجية الدموية فمن بين الأسباب والحقائق التاريخية الجلية التي لا يمكن إنكارها أو تجاهلها وتجاوزها هو أن الحملات الصليبية الإسبانية على السواحل الجزائرية كانت برداء ديني محض لأن الملك الإسباني تأسس على أبعاد دينية صليبية وسيطرة القساوسة والرهبان على أركانها وشحذوا همم الساسة من أجل التطاول على السواحل الجزائرية [2]

وهذا يعني أن التطرف الديني كان سبب رئيسي في احتلال السواحل الجزائرية من خلال إثارة النعرات والكراهية إتجاه المسلمين سواء داخل الأندلس أو في سواحل المغرب الإسلامي ، وكانت البابوية تلعب الدور الأكبر في توفير الإمكانات البشرية

[1] أحمد توفيق المدني، حرب الثلاث مئة سنة بين الجزائر وإسبانيا، ص 125.

[2] محمد دراج ، مرجع سابق، ص 118.

و المادية لمطاردة المسلمين من الأندلس وإخضاعهم ، كما أن إسبانيا لعبت دور "حامية الصليبية" والمسيحية ودرعه وحاملة لوائه[1]

ولم تكن الأسباب الدينية وحدها من كانت خلف الغزو الإسباني ، فعقب سقوط غرناطة تعرض الأندلسيون لكل أنواع التنكيل والاضطهاد، الأمر الذي دفع بهم إلى الهروب نحو شواطئ شمال إفريقيا، حيث للجزائر النصيب الأكبر من هذه الهجرات، التي كانت سببا مباشرا في تشكيل الجبهة الاجتماعية لسكان الجزائر إبان الحقبة العثمانية، حيث ساهمت في خلق واقع اجتماعي جديد.

ولم يصمت المهاجرون الأندلسيون على هذا الاضطهاد بل ساهموا رفقة إخوانهم في شمال إفريقيا بشن غارات متتالية على السفن والسواحل الإسبانية، انتقاما لإخوانهم المضطهدين في الأندلس الذين أخرجوا من بلدهم، وعذبوا ونكل بهم وأرادوا ردهم عن دينهم، ولكن الشيء السلبي في هذه الغارات تحولت إلى نقمة كبيرة كون الأسبان قد تحججوا بها لاحتلال السواحل الجزائرية للدواعي الأمنية ناهيك عن الدواعي الدينية السابقة الذكر[2]

ولم يخلو الغزو الإسباني من الخلفيات الاقتصادية أيضا، حيث كانت التناقضات السياسية والاقتصادية التي حدثت في أوروبا خلال بداية القرن 16 م دافعا مباشرا لإسبانيا والبرتغال للبحث عن موارد بعيدا عن حدودها الجغرافية ، وكان شمال إفريقيا أول هدف وقع تحت أنظار البرتغاليين ، إضافة أن اكتشاف العالم الجديد جعل إسبانيا تتخذ إستراتيجية جديدة لحماية أساطيلها المثقلة بالبضائع من غارات البحارة وجعلوا

[1] محمد مبارك الميلي، مرجع سابق، ص 19.

[2] محمد دراج، مرجع سابق، ص 122.

مرافئ شمال إفريقيا قواعد لانطلاقتها ، وهذا حفّز الأسبان على احتلال السواحل لتأمين مبادلاتها التجارية داخل البحر الأبيض المتوسط [1].

بالإضافة إلى رغبة إسبانيا في السيطرة على التجارة الإفريقية عن طريق السيطرة على سواحل شمال إفريقيا التي كانت تلعب دور الوسيط بين القارتين الإفريقية والأوروبية، ولم يخلو احتلال السواحل الجزائرية ، من الأسباب السياسية فالشجع "السياسي" الذي تبناه الأسبان من خلال الرغبة في التوسع وبسط النفوذ خارج الحدود الواقعة تحت سيطرتهم ، وذلك بهدف بناء إمبراطورية قوية واسعة النفوذ وهذا حلم تبناه الملك فرديناند وملكة إسبانيا بعد الزواج السياسي المصلحي بين مملكتي الآراغون وقشتالة ، وهذا ما سهل وعبد الطريق مباشرة للقضاء على الوجود الإسلامي في الأندلس وبعده إحتلال سواحل الجزائر.

[1] محمد مبارك الميلي، مرجع سابق، ص 21.

2- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية قبيل مجيء العثمانيين :

لم تنعكس الأوضاع السياسية داخل البيت الزياني على الأوضاع التجارية والاقتصادية، فمدينة تلمسان كانت تمثل مركزا تجاريا هاما نظرا لعدة عوامل أهمها موقعها الجيوسياسي فلم ينقطع عنها التجار حتى في الأوقات الصعبة المليئة بالحروب والاقتتال داخل الأسرة الزيانية أو بين الزيانيين والعدوان الخارجي على تعدد أشكاله ، فكانت المدينة مصدرا للتجار الذين كانوا يتزودون منها بالبضائع الإفريقية القادمة من بلاد السودان كالعاج والذهب وحتى العبيد والخدم ،كما كانت محطة لإرسال السلع إلى ماوراء الصحراء عن طريق مدينة سجلماسة ، حيث تلتقي القوافل التابعة للمغرب الأوسط بقوافل المغرب الأقصى وتتجه جميعها إلى مدينة تنبكتو، ثم إلى غانا ، وقوافل أخرى من سجلماسة تقصد موريتانيا والسنغال ومالي وغانا وغيرها من دول الجوار، ولم تكن حركة تجار تلمسان باتجاه الصحراء وفقط، بل كانت محطة عبور باتجاه الدول الأوربية عبر ميناء المرسى الكبير وميناء وهران ، حيث لعبت هذه الموانئ دورا كبيرا في إنعاش الحركة التجارية [1]

ويذكر حسن الوزان أن هذه الموانئ كان يقصدها عادة كثير من التجار الجنوبيين القادمين من البندقية[2] ، حيث كانوا يمارسون تجارتهم عن طريق المقايضة ، فالسفن كانت تشحن بالسلع المحلية التي ترسل إلى الأندلس والجنوب الفرنسي (مارسيليا) ومدن إيطالية (بيزا ،جنوة) ثم تعود منها مشحونة بسلع تلك المدن .

[1] شارل أندري جوليان، مرجع سابق، ص 201

[2] الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ص400

وأدت الحركة التجارية إلى انتعاش خزينة الدولة ، عن طريق الضرائب التي تفرضها على البضائع المستوردة أو المصدرة لما تفرز هذه الإتاوات من عائدات كبيرة جدا ، وكانت وهران تابعة للملكة الزيانية إداريا وهذا ما كان يدر على هذه الأخيرة قرابة 400 ألف دينار[1]

ولم يقتصر هذا الانتعاش الاقتصادي والتجاري على الغرب فقط بل حتى موانئ الشرق الجزائري التي كانت خاضعة للأمراء الحفصيين المحليين كانت تعرف نفس مستوى النشاط ، على غرار: القالة وعنابة وسكيكدة، التي كانت تستقبل السفن القادمة من جنوة وتونس وجِربة، وتصدّر منها الجلود والقمح والسمن وتستورد الأقمشة ومنتوجات أوروبية أخرى، في حين كانت مدن الجنوب الشرقي (ميزاب) تلعب دورا محوريا في الوساطة بين مدينة الجزائر وتجار السودان .[2]

ويقول دكتور محمد دراج: «**إن ما يقال على تلمسان يمكن أن يطبق على جيجل أو حتى أن هذا الرفاه الاقتصادي يعد قاسما مشتركا بين المدن الساحلية والتي كانت تستفيد من موقعها في التبادل التجاري مع تجار أوروبا قبل الغزو الإسباني لسواحل الجزوائر بداية من القرن 16**»[3].

وبالرغم من الانتعاش الاقتصادي ، الذي كانت تعيشه مدن الساحل حيث لعبت دور الوسيط التجاري بين أوربا وإفريقيا، لكن المناطق الداخلية والبعيدة عن المناطق الحضرية للجزائر كانت بعيدة عن سيطرة الدولة ، وكانت إما خاضعة للقبائل أو مستقلة عن أي خضوع وتبعية، وهذا الأمر سهل على شذاذ الآفاق وقطّاع الطرق

[1] نفسه، ص394.

[2] نفسه، ص 423.

[3] محمد دراج، مرجع سابق، ص 98.

وعصب البدو[1] ، وقال الوزان "أن غرب مملكة تلمسان كان موحشاً ، جافا تعيش فيها عصابات من اللصوص من الأعراب الذين يقومون بقطع الطرق واغتيال الناس بلا رحمة"[2]

3- الأوضاع الخارجية قبيل مجيء العثمانيين :

كان الوضع في المغرب الأقصى يشبه إلى حد كبير الوضع في بقية دول المغرب الإسلامي فقد كان يعيش فترة عدم استقرار تاريخي حيث فشل الوطاسيين[3]، حيث عجزوا عن توحيد البلاد تحت سلطتهم ، فأصبحت مجزأة إلى كيانات سياسية صغيرة خاضعة لزعامات قبلية ودينية ومجالس محلية متنافسة ومستقلة تماما عن الإدارة المركزية أو تابعة لها

لأن الدولة كانت قد ضعفت سيطرتها على المناطق الجبلية والنائية في الجنوب فكانت البلاد تدار بواسطة زعماء القبائل أو الزعامات المحلية ،وبسبب غياب السلطة وانعدام الأمن وجد التجار أنفسهم مرغمين على دفع إتاوات للزعماء المحليين ليتمكنوا من المرور بالمناطق الخاضعة لهم وتسويق بضاعتهم[4]

يقول أحمد توفيق المدني في كتابه حرب 300 مئة أن حالة المغرب العربي أوائل القرن السادس عشر ، " تقهقر ، وفوضى ، وانحلال" ، أنها تلخصها هذه الكلمات دون

[1] عبد الرحمان الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، 1965 ، ص 110.

[2] الحسن الوزان، مرجع سابق، ص 425.

[3] نفسه، ص 194.

[4] نفسه.

إطناب [1]،حيث أن إسبانيا قد حطمت آخر قلاع المسلمين في بلاد الأندلس تزامنا مع علو نجم الإمبراطورية العثمانية ، ويمد جذوره في القارات الثلاث "آسيا ، وإفريقيا و أوروبا" في حين كان الصليبيون هم الآخرون يشحذون سنان رماحهم ويوجهون حرابهم إتجاه العالم الإسلامي.

حيث كانت "أوروبا المسيحية" تؤسس لحضارة جديدة ونهضة اقتصادية ضخمة وكبيرة واتجهت نحو الكشوفات الجغرافية التي غيرت وجه العالم القديم فعلى أنقاض الموحدين قامت دويلات صغيرة بنو حفص في تونس

(طرابلس و الشرق الجزائري) ، ودولة بنو زيان (الوسط والغرب الجزائري) ودولة بنو مرين (بالمغرب الأقصى)، فازدهار هذه الدول أخذ يذبل شيئا فشيئا ، وسقطت كلها في الإنقسامات والحروب والزوابع الهوجاء، فالصراعات بين الطامعين في العرش كانت في أوجها الأمر الذي غالبا ما ينهي وجود أي دولة ويهز أركانها ويبعث على زوالها

إضافة إلى الحروب بين هذه الكيانات السياسية ، فتارة تقود بنو حفص إلى معقل بني مرين وتقود بنو مرين إلى معقل بنو حفص ، فيما كان بنو زيان بين فكّي كماشة الصراعات وبين مطرقة الحفصيين وسندان المرينين ، فمرة تكون مع الأول ضد الثاني ومرة مع الثاني ضد الأول وهذا ما يؤكد أن وضع دولة بنو زيان لم يكن على أحسن حال وهذا مايفسر بطبيعة الحال عجزها الذريع في صد الحملات الصليبية وحماية مسلمي الأندلس

وهذا الوضع داخل المغرب الإسلامي سهل ميلاد كيانات انفصالية وقبائل تطفو بسرعة وتأفل بسرعة فرغم أن المغرب الإسلامي كان يزخر بالرجال شديدي البأس صعاب

[1] احمد توفيق المدني ، حرب الثلاث مئة سنة بين الجزائر وإسبانيا، ص 64.

المراس وعلماء أجلاء وأدباء عظماء، لكن لم تسمح حروب الساسة بوجود وحدة سياسية وإمارة قوية على غرار دولة الموحدين، ويقول أحمد توفيق المدني أن هذا التضعضع الذي كان يعرفه المغرب الأوسط كان مهندسا له من طرف بني مرين والحفصيين معاً حيث يقول: «... **للحقيقة والتاريخ ، وهي أن دولة بن زيان التلمسانية ، قد ذهبت ضحية محاولات الحفصيين ومحاولات المرينين معا ، فكل من الجانبين كان يرى – إلا في فترة قليلة – وجوب محقها ، والإستيلاء على أرضها تحقيقها للهدف الذي كان يجري وراءه فاستنزف ذلك قواها المادية والمعنوية وعجل بها إلى مهاوى الإنحطاط ثم الإضمحلال**»[1]

والعجيب أن مخلب الصليبين قد طالت سمومه المغرب العربي حيث وصلت الأيادي الإسبانية التي كانت تنصب نفسها حامية حمى المسيحية إلى مدينة تطوان المغربية العام 1400 م ، فاحتلتها وحطمت أركانها وقتلت نصف سكّانها في وقت كان الملك المغربي (أبو سعيد عثمان) يحارب مملكة بنو زيان بتلمسان من أجل إخضاعها عنوة إلى سلطتهم فاحتل تلمسان وطرد ملكها ابا زيان ونصب مكانه أبا محمد عبد الله[2]

في حين وصلت بعدها أيدي البرتغال إلى مدينة سبتة سنة 1415 ، حيث احتلها الملك بنفسه ونفس الحادثة أعيدت بأشخاص آخرين حيث كان أبا سعيد يقاتل أبا حسون من أجل عاصمة الزيانين [3]، وهذا مايفسر دائما نوايا الجارة الغربية اتجاه الجزائر فالإنهاك والمؤامرات سمة سائدة من طرفهم على مدى التاريخ ، واجتمع المسلمون في المغرب الاقصى على مقاتلة البرتغال من اجل استعادة مدينة سبتة التي سقطت سنة 1415 لكنهم أخفقوا وفشلوا سنة 1419 وقتل السلطان عبد الحق المريني

[1] احمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792، ص 65

[2] نفسه ، ص 66

[3] نفسه ، ص 66

على يد الشعب الثائر الساخط على تمكين اليهود من زمام السلطة بأمر السلطان ، وانتهت دولة بنو مرين (1196-1428) وجاء خلفها فرع آخر منهم وفيهم وهو فرع بني وطاس[1]

[1] نفسه ،ص 66

ولم يتغير الحال بعد هذا التحول فالتقهقهر مستمر والاضمحلال متواصل والانهيار قادم فدون مبالغة كان هذا القرن كان مشوها على صعيد الانجازات ، فخلال هذه الفترة سالت دماء المسلمين على يد المسلمين دون مراعاة الجيرة والأخوة وصلة الرحم والتقارب فيما بينهم.[1]

يلخص المؤرخ العسكري الفرنسي بيشو وضعية المغرب العربي قائلا: "إن العائلات المالكة الحفصية والزيانية والمرينية ، التي كانت قبل ذلك تلمع لمعانا منيرا قد انغمست في حروب طويلة مزمنة ، وروت أرض هذه البلاد "المغرب العربي" بالدماء ، ثم سقطت في مهاوي الانحطاط ، فطو ال قرن كامل لم يبق لأمراء هذه العائلات المالكة من السلطة الا اسمها.[2]

وكان الملوك لا يفكرون الا في احباط المؤامرات والفتن التي يثيرها ضدهم أفراد من عائلاتهم من أجل الاستيلاء على العرش أو في اخماد عائلات من أجل الاستيلاء على العرش ، أو في إخماد الثورات التي تقوم بها قبائل سئمت حكم العجز والطغيان ،ولقد ضربت الفوضى أطنابها في كل مكان فسكان الولايات القسنطينية وسكان مدينة الجزائر وأهل الشرق الوهراني ، لم يبقوا معترفين بسلطة أحد عليهم أما بالمغرب الأقصى فان أمراء عائلة بني مرين قد اقتطع كل واحد منهم لنفسه امارة صغيرة لم يكن في وسعه الدفاع عنها ضد مطامع جيرانه فهذه الفوضى قد سهلت بصفة غريبة مهة البرتغاليين والاسبان ، سواء في احتلال البلاد أو في توسيع منطقة نفوذهم[3]

ويقول المؤرخ ابروديل ، في وصف حال المغرب " لقد كان الشمال الافريقي مستودع الرجال الذين كانوا يهبون دوما لنجدة مسلمي الأندلس ضد الإسبان ، وذلك لغاية سنة 1415 ،

[1] أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792، ص 67

[2] نفسه، ص67

[3] نفسه ، ص68

وبعد انهيار مملكة غرناطة طللب الملك أبي عبد الله أن ينسحب مع ذويه إلى بلاد المغرب ، فتحرج فردنيادو وايزابيلا من ذلك حرجا كبيرا ، خشية أن يطلب عم الملك مددا من الشمال الإفريقي يأتي به لنجدة المسلمين ، إنما تمكن الراهب خيمينيس بعد من إقناعها بأن لا خطر البتة من وراء هذا الانسحاب الى المغرب ، لان حالة الخلاف والشقاق المستحكمة الحلقات بالبلاد الإفريقية الشمالية لن تسمح لاهلها البتة بالاقدام على مثل هذا العمل

ويقول مؤرخونا الجزائريون وعلى رأسهم الشيخ عبد الرحمان الجيلالي في كتابه تاريخ الجزائر العام " لقد أخذ سرح بن عبد الواد يتساقط منذ أن ركن ملوك هذه الدولة من بني زيان إلى التواكل والتخاذل ، واخلادهم الى الدعة ، واستمهادهم الراحة وتثاقلهم عن القيام بالمصالح العامة، وانهماكهم في التهالك على الرئاسة ، وقصر اشتغالهم على أنفسهم شخصيا ، فانمحت يومئذ هيبتهم عن نفس الرعية ، وانتشرت الفوضى بين الناس في كل ميادين السياسة والاجتماع ، واستبد الولاة ورؤساء القبائل والشيوخ وعمال الجهات وولاة النواحي وقادة الجيش بما اتصل بأيديهم من اسباب الولاية والحكم .... ، وملوك الاسبان يومئذ يترصدون مثل هذه الأمور خلسة ويترقبون الظروف المواتية للقضاء على دولة الإسلام بهذا الشمال الافريقي "

فيما يوصف الشيخ مبارك الميلي رحمه الله وضعية المغرب العربي إبان تلك الفترة قائلا " فإنها (الدولة الزيانية) منذ نشأتها لم تزل تصطلى بنار الحروب الداخلية والخارجية ، فمن غارة مرينية إلى حرب حفصية ، ومن مناهضة مغراوية أو توجينية ، إلى منافسة زيانية ، ومن دسيسة سويدية (أي قبائل السويد) إلى مشاقة عامرية (أي من بني عامر) ." الخ

الفصل الثاني :

العثمانيون مراحل وخلفيات قدومهم إلى غرب المتوسط

المبحث الأول: بداية نشاط الإخوة بربروس وقدومهم نحو الحوض الغربي للمتوسط

المبحث الثاني: توسع نشاط الإخوة بربروس في الحوض الغربي للمتوسط

المبحث الثالث: نتائج التواجد العثماني

1 – بداية نشاط الإخوة بربروس وقدومهم نحو الحوض الغربي للمتوسط.

أ – منشأ وبدايات الإخوة بربروس.

بعد أن تمكن السلطان محمد الفاتح سنة 1457م من فتح جزيرة ميدللي Medelli ، وهي إحدى جزر الأرخبيل اليوناني الواقع شرق البحر الأبيض المتوسط، قام بوضع حامية عسكرية بها لضمان استقرارها، وسمح للجنود التابعين للحامية بالزواج من بنات أهالي الجزيرة لتسهيل أمور الحياة لجنوده[1]، ومن بينهم أحد فرسان الصبايحية[2] ويدعى"يعقوب"، الذي وهبه السلطان محمد الفاتح إقطاعا في منطقة " واردار yardar " المجاورة ل"سالونيك selanik "، تزوج من أحد بنات أهالي الجزيرة، وأنجب منها أربعة أبناء"إسحاق، وعروج[3]، و"خضر"و"خير الدين"[4]، و"إلياس"[5].

---

[1] مذكرات خير الدين بربروس، ترجمة محمد دراج، ط1، شركة الأصالة للنشر ،الجزائر، 2010، ص21–22

[2] السبايهية(الصبايهية): مصطلح يطلق على الفرسان الذين جندتهم الدولة العثمانية مقابل استفادتهم من أراضي الإقطاع التي تمنح لهم لقاء دفع ضريبة الخراج لخزينة الدولة، فضلا عن إلزامهم بالمساهمة في تتحمل نفقات الحرب والاشتراك في الحرب بنفسه عند إقتضاء الحاجة، للمزيد ينظر مذكرات خير الدين، ص 22

[3] عروج: الإسم الحقيقي أروج وهو تركي معناه رمضان لأن الأتراك كانوا يسمون أبنائهم ببعض شهور السنة الهجرية، ولا يلفظ الأتراك حرف العين، ويستدلون على ذلك بلوحة وجدت بشرشال في برج الترك نقش عليها النص التالي:" هذا برج شرشال أنشأه القائد محمد ابن فارس التركي، في خلافة الأمير القائم بأمر الله المجاهد غفي سبيل الله أروج بن يعقوب، بتاريخ أربع وعشون وتسعمائة(1517)، ويحتل عروج المرتبة الثانية بين اخوته بعد أخيه أسحاق، أما التاريخ المرجح لولادته فهو 1470م، وهو أصغرمن أخيه اسحاق بسنتين، وأكبر من خير الدين بسنتين، وعرفوا بإسم بربروس بسبب لحيتهم الشقراء، أما البحراة الأتراك فيدعونه " بابا عروج" احتراما له، للمزيد ينظر عبد الحميد بن اشنهو، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، دار الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 1972، ص38–39، محمد دراج، الدخول العثماني للجزائر ودور الإخوة بربروس 1512–1543، تصدير ناصر الدين سعيدوني، ط1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص152–153.

[4] خير الدين: واسمه خضر، اشتهر بلقب بربروس، أطلق عليه السلطان سليم الأول لقب خير الدين، ولد بحدود سنة 1472 بجزيرة ميدللي بعد أخيه عروج بسنتين، عمل بالتجارة في مطلع شبابه، مارس التجارة مع اخيه عروج بسفينته بين سلانيك وأغريبوز، بعد نجاة أخيه عروج من أسر فرسان رودس انته به المطاف بتونس، ليلتحق به خير الدين هناك، توفي خير الدين بعد حياة حافلة بالجهاد والغزو، توفي بشهر جويلية ، ودفن تربته التي أعدها بنفسه في ساحل بشكتاش باستانبول، للمزيدينظر محمد دراج، المرجع نفسه، ص 165، 169.

[5] سالم جوامع، الإخوة بربروس بين شرق وغرب البحر المتوسط، مطلع القرن 16م، قراءة جديدة في النشأة والمنجزات، المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات، المجلد3، العدد3، جامعة محمد الصديق بن يحي، جيجل، الجزائر، 2020، ص135.

وتعددت الروايات من قبل الباحثين حول أصل"يعقوب"، فبعض الروايات تذكر أنه كان مسيحيا واعتنق الإسلام، وأن استقراره بالجزيرة جاء بعد تقاعده من العمل وامتهانه الخزافة[1]، وروايات أخرى تذكر أنه مسيحي من أصول ألبانية وتم أسره من طرف العثمانيين للعمل بالسفن العثمانية، قبل أن يعتنق الإسلام ويحول اسمه إلى يعقوب[2]، وهو نفس الطرح الذي أيدته المؤرخة كورين شوفالييه، بأنهم مسحيين دخلوا الإسلام، ووضعوا أنفسهم في خدمة السلطان العثماني[3]،ويدعم هذا الطرح أيضا فريد بك المحامي الذي يذكر أن الإخوة بربروس كانو مسيحيين واعتنقوا الإسلام[4].

ولم يختلف الأمر حول والدتهم، فبدورها تعددت الروايات حولها، فمنها ما تذكر أنها كانت أرملة ووالدتها كانت راهبة مسيحيا تدعى "كاتالينا أو كاترينا"، أما الرواية الثانية فاذكر أنها سيدة أندلسية [5] ، بينما وليام سبنسر فيرى أن الغموض يكتنف أصولها، وربما تكون ابنة لأحد لأحد الرهبان، أو امرأة أسرها يعقوب بالبحر[6]، أما خير الدين في مذكراته يذكر أن والدته إحدى بنات أهالي الجزيرة[7].

يذكر خير الدين في مذكراته أنه كان مولعا بركوب الخيل، والحال نفسه بالنسبة لأخيه عروج، فهذا الأخير اقتنى سفينة لغرض التجارة في البحر بين سالونيك وأغريبوزAgriboz، بهدف جلب البضائع وإعادة بيعها بجزيرة ميدللي، غير أن طموح عروج كان أكبر من

[1] ويليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، دار القصبة للنشر، 2006، الجزائر، ص37.

[2] نفسه، ص135.

[3] كورين شوفالييه ، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر1510-1541، ترجمة جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 26

[4] فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق احسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1981، ص203

[5] سالم جوامع، مرجع سابق، ص135.

[6] ويليام سبنسر، مرجع سابق،37.

[7] مذكرات خير الدين، مصدر سابق، ص22

ذلك، فرغب في الذهاب إلى طرابلس الغرب بليبيا وبلاد الشام، ليغادر جزيرة ميدللي رفقة أخيه الأصغر إلياس قاصدين هذه الوجهة[1]، ليعترض قراصنة رودس طريقه، ويستولوا على سفينته ويغتالوا أخاه إلياس، ويأسر عروج من قبلهم[2].

لكن اغتيال الياس وأسر عروج أحزن خير الدين كثيرا وأبكاه، وبذل مسعاه لأجل إنقاذ شقيقه من الأسر، فيذكر خير الدين في مذكراته: « **كان لي صديق كافر يدعى غريغوkrigo يقوم بالتجارة مع جزيرة رود، أخذته معي في سفينتي وقدمت به إلى بودروم وقلت له، اليوم تتبين لي الصداقة خذ هذه 18 ألف أقجة (عملة فضية) وأعني على إنقاذ أخي، إذهب إلى رودس وأنظر الأمور هناك، وسوف أنتظرك في بودروم**»، غير أن هذا الصديق أخذ الأموال وخان خير الدين بإبلاغه آسري عروج بمكانته وهويته الحقيقية، فطلبوا مبلغا باهضا كفدية له[3].

لم تنجح مساعي خير الدين في افتداء شقيقه، وبقي أسيرا لتزداد أوضاعه سوءا[4]، ليتم وضعه بزنزانة تحت الأرض مقيدا بالسلاسل والأغلال، ويعطى له من الطعام مايسد به رمقه، ليتم نقله للعمل كمجدف بإحدى السفن، لترسوا السفينة الرودسية بالقرب من مدينة أنطاليا، واضطرت السفينة أن تقضي ليلتها هناك نظرا لهبوب رياح معاكسة، لتنزل السفينة قارب صيد، ليرسو بعيدا عن الساحل بسبب الرياح، ليستغل عروج الوضع خصوصا أن الظلام كان حالكا، ليلقي بنفسه للبحر سابحا للوصول إلى ساحل إحدى القرى التركية بأمان[5] بأمان[5] وكان ذلك حوالي سنة 1506م[1].

---

[1] مذكرات خير الدين، مصدر سابق، ص23

[2] محمد دراج، مرجع سابق، ص 153.

[3] مذكرات خير الدين، مصدر سابق، ص 23.

[4] سالم جوامع، مرجع سابق، ص 136.

[5] مذكرات خير الدين، مصدر سابق، ص32.

وفي طريقه إلى جزيرة ميدللي توقف عروج بمدينة أنطاليا، أين تعرف هناك على رجل معروف يدعى"على ريس" يملك سفينه يتاجر بها بين أنطاليا والإسكندرية، رحب علي ريس بانضمام عروج، ليغادر معه هذا الأخير قاصدا مدينة الإسكندرية المصرية[2]، ومن الإسكندرية أرسل عروج خطابا لأخيه خير الدين بميدللي يبلغه ماحدث معه[3].

وبمصر قام السلطان المصري قانصوه الغوري[4] بتعيين عروج على رأس السفن التجارية، نظرا لسمعته وللشهرة التي يتمتع بها في ركوب البحار[5]، ولما علم الرودسيون بقدوم عروج إلى أحد المدن القريبة منهم، أغاروا عليه بأسطول كبير، فأضطر عروج للفرار[6]، بعد ادراكه خطورة الوضع وجنح بسفينته الى البر، وقرر العودة إلى أنطاليا، وهناك قام بصنع سفينه ذات 5 أو 6 مقاعد أغار بها على سواحل رودس، لينطلق خلفه الرودسيون بعدد من السفن، ليتمكنوا بالنهاية من العثور عليه وإحراق سفينته الراسية في أحد المراسي، ليتمكن هو من النجاة ويقصد مرة أخرى مدينة أنطاليا[7].

---

[1] سالم جوامع، مرجع سابق، ص 136.

[2] نفسه، ص136.

[3] مذكرات خير الدين، مصدر سابق، ص 34.

[4] قانصوه الغوري: هو آخر سلاطين دولة المماليك في مصر، قتل في معركة مرج دابق بين العثمانيين والمماليك، وتم الفضاء خلالها على دولة المماليك، وحل العثمانيون محلهم في ادارة البلاد التي تم اخضاعها لهم، للمزيد ينظر مذكرات خير الدين، ص41.

[5] محمد دراج، مرجع سابق، ص 154.

[6] سالم جوامع، مرجع سابق، ص 136.

[7] مذكرات خير الدين، مصدر سابق، ص 38.

صادفت عودته إلى مدينة أنطاليا مجيء الأمير قرقود Korkut[1] ابن السلطان بايزيد الثاني، الذي سمع بشهرته ومهاراته في ركوب البحر، فطلب منه التنقل إلى مدينة أزمير، ليتسلم عروج هناك سفينتان واحدة من الأمير قرقود والثانية مقدمة من قاضيها بيالة باي[2].

ليقوم بعدها عروج بالإغارة والغزو على سواحل الجمهوريات الإيطالية، غنم منها بعض السفن، ويقرر بعدها العودة إلى أزمير لمقابلة الأمير قرقود، فعلم بتنحية هذا الأخير وتولية أخيه سليم الأول[3] عرش الدولة العثمانية، ليختار عروج التواري عن الأنظار خوفا من إلحاق إلحاق السلطان الجديد الأذى به بسبب علاقته مع الأمير قرقود، ليفر قاصدا مصر، قبل أن يعمل بنصيحة قرقود بالتوجه إلى غرب البحر الأبيض المتوسط[4].

غير أن الأخوين بربروس أدركا صعوبة الاشتباك مع الأسطول الاسباني، وبالتالي هي مجازفة لا يمكن تقدير عواقبها، لذا قررا استعمال أسلوب التمويه، بالتظاهر بالابتعاد عن الساحل لإيهامهم بفرارهم وعدم قدرتهم على المواجهة، وبالفعل انطلت الحيلة على الإسبان فأخذوا بمطاردة الأخوين بربروس، وعندما أصبحت السفن الاسبانية على مرمى سفن

[1] قرقود: هو الابن الثاني للسلطان بايزيد الثاني، والأخ الأكبر للسلطان سليم الأول، اشتهر بحمايته للبحارة الأتراك، قتله السلطان سليم الأول بعد جلوسه على عرش السلطنة سنة 1512، للمزيد ينظر مذكرات خير الدين، ص 29.

[2] مذكرات خير الدين، مصدر سابق، ص 38.

[3] السلطان سليم الأول: ترتيبه التاسع بين السلاطين العثمانيين، حكم بين 1512–1520،بعد قيامة بانقلاب على والده بايزيدالثاني بايزيدالثاني بدعم من الإنكشارية، ليتولى عرش الدولة العثمانية، تمكن في فترة حكمه من هزم الصفويين سنة 1514، وضم بلاد الشام سنة 1516، وضم مصر بعد هزيمة المماليك سنة 1517، كما ضم الحجاز واليمن، ازدهرت الدولة العثمانية وعرفت أزهى عصورها في عهده وعهد إبنه من بعده سليمان القانوني، ينظر عبد الكريم شوقي، الأوضاع السياسية بالجزائر في مطلع القرن السادس عشر ميلادي، وظروف انضوائها تحت راية الخلافة العثمانية، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد 12، العدد1، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2021،ص 412.

[4] سالم جوامع، مرجع سابق، ص 137.

الأخوين ، أعطى عروج أمرا بالهجوم المعاكس عليها وضربهم بالمدفعية، فاستولى خلالها الأخوين على ثلاثة سفن، أما بقية السفن فلاذت بالفرار[1].

ليتوجه بعدها عروج إلى ساحل بجاية فأنزل جنوده ومدفعيته لمهاجمة القلعة الإسبانية، ليتمكن بعد عدة أيام من اختراق جدارها، لكن حدث وأن أصيب عروج اصابة بليغة في ذراعه الأيسر، فانسحب ومن معه إلى تونس، لتقطع ذراع عروج بأمر من الطبيب، فاستغل الأسبان فرصة انسحاب الأخوين لتعزيز دفاعاتهم بمدينة بجاية، تحسبا لأي هجوم جديد من قبل الإخوة بربروس[2].

بـ- نشاط الإخوة بربروس في الحوض الغربي للبحر المتوسط.

بعد أن كان نشاط الأخوين مقتصرا على الجزء الشرقي من البحر الأبيض المتوسط بغرض الإغارة على سفن القديس يوحنا الرابضة بجزيرة رودس، والإغارة على السفن المسيحية المحملة بالغنائم والبضائع، ليتنقل الأخوين 1504م[3] للجزء الغربي للبحر المتوسط، تحذوهما روح الانتقام من المسيحيين[4]، خصوصا بعد استنجاد مسلمي الأندلس بالسلطان العثماني لحمايهم مما تعرضوا له من أذى من قبل المسيحيين بعد سقوط غرناطة[5].

---

[1] محمد دراج، مرجع سابق، ص 189-190.

[2] عبد الكريم شوقي، مرجع سابق، ص401.

[3] تشير المصادر ان مغادرة الاخوة بربروس لميدللي كان سنة 1512 بعد إعدام الأمير قرقود، أما دوغرامونت فيرى ان مجيء الإخوة بربروس إلى الجزائر كان سنة 1510 أو 1512، وتشير مصادر أخرى أن الإخوة بربروس كانوا في المغرب قبل 1494، أما خيرالدين فيذكر في مذكراته أنه بمعية أخاه عروج غادرا جزيرة ميدللي عقب مقتل الأمير قرقود، وهومايرجح فرضية سنة 1512، للمزيد ينظر محمد دراج، مرجع سابق، ص181.

[4] ويليام سبنسر، مرجع سابق، ص38.

[5] محمد دراج، المرجع السابق، ص 176.

بعد أن عظمت شوكة الأخوين بربروس، ومع إزدياد عدد أنصارهما وأتباعهما، كان لابد عليهما من إيجاد مكان ينطلقان منه ويعودان إليه، في حالة حصول عطب بالسفن، أو في حالة الشعور بالخطر لذلك توجه خير الدين وعروج إلى سلطان الدولة الحفصية بتونس[1] " التي كان يحكمها السلطان أبو عبدالله محمد بن الحسن[2]، فيذكر خير الدين دخولهم على الحفصي، بعد أن قدموا له الهدايا قائلين له: « نريد أن تتفضل علينا بمكان نحمي فيه سفننا، بينما نقوم بالجهاد في سبيل الله، وسوف نبيع غنائمنا في أسواق تونس فيستفيد المسلمون من ذلك، وتنتعش التجارة، كما ندفع لخزينة الدولة ثمن ما نحوزه من الغنائم»[3].

فكان من السلطان الحفصي أن هلل للأمر ورحب به، بناء على العرض الذي قدمه الأخوين فتم منحهما ميناء حلق الواد لاتخاذه قاعدة لهم، ولم يكن الأمر إيمانا أو اقتناعا بما يفعلانه من جهاد بحري ودفاعا عن مسلمي الأندلس، وإنما هدفه الحصول على الهدايا والعائدات المالية من قبل الأخوين بربروس، وبذلك يجنب أهالي تونس دفع المزيد من الضرائب التي أرهقت كاهلهم[4].

وانطلاقا من ميناء حلق الواد شرع الأخوين بربروس بالعمليات الجهادية في عرض البحر المتوسط، ومن بين ما أسفرت عليه هذه العمليات، أسر سفينة كان خط سيرها يمتد بين نابولي الإيطالية وبرشلونة الاسبانية، فعلى الرغم من ضخامة حجم السفينة ونيران مدفعيتها مقارنة بسفن

---

[1] بلقاسم صديقي، بدايات الوجود العثماني بالجزائر 1505–1519، مجلة مشكلات الحضارة، المجلد8، العدد2، جامعة الجزائر2 ابو القاسم سعد الله، الجزائر، 2020، ص 7.

[2] ابو عبد الله محمد بن حسن المتوكل(1494–1526): تنحدر أصوله من مدينة بجاية، تولى الحكم بعد وفاة والده السلطان يحي أبي زكرياء، لم يبد رغبة في تولي الحكم، توفي سنة 1526، ليخلفه في الحكم إبنه عبد الله الحسن بن محمد، من أهم أعماله تأسيس المكتبة العبدلية، حوالي سنة 1500 م بجامع الزيتونة، ينظر عبد الكريم شوقي، الأوضاع السياسية بالجزائر في طلع القرن السادس عشر ميلادي، وظروف إنضوائها تحت راية الخلافة العثمانية، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد 12، العدد1، جامعة سيدي بلعباس، 2021، ص 411.

[3] مذكرات خير الدين، مصدر سابق، ص46.

[4] محمد دراج، مرجع سابق، ص184.

الإخوة بربروس، إلا أن الحماسة الجهادية للأخوين مكنتهم من أسرها واغتنام ما تحمله وادخلوها إلى ميناء حلق الواد[1].

جـ المحاولة الأولى لفتح مدينة بجاية:

كرد فعل إسبانيا على السفينة التي غنمها الأخوين بربروس، أرسلت أسطولا مكونا من 20 سفينة قاصدا القضاء على الأخوين، في الوقت الذي كانا فيه متجهين للإغارة على مدينة جنوة الإيطالية، إلا أن الرياح المخالفة لسير السفن أجبرت الأخوين بربروس على التوجه إلى سواحل بجاية الجزائرية، لتلاحقهم السفن الاسبانية إلى هناك متعقبة خط سيرهم، غير أن الأخوين بربروس أدركا صعوبة الاشتباك مع الأسطول الاسباني، وبالتالي هي مجازفة لا يمكن تقدير عواقبها، لذا قررا استعمال أسلوب التمويه، بالتظاهر بالابتعاد عن الساحل لإيهامهم بفرارهم وعدم قدرتهم على المواجهة، وبالفعل انطلت الحيلة على الإسبان فأخذوا بمطاردة الأخوين بربروس، وعندما أصبحت السفن الاسبانية على مرمى سفن الأخوين ، أعطى أعطى عروج أمرا بالهجوم المعاكس عليها وضربهم بالمدفعية، فاستولى خلالها الأخوين على ثلاثة سفن، أما بقية السفن فلاذت بالفرار[2].

ليتوجه بعدها عروج إلى ساحل بجاية فأنزل جنوده ومدفعيته لمهاجمة القلعة الإسبانية، ليتمكن بعد عدة أيام من اختراق جدارها، لكن حدث وأن أصيب عروج اصابة بليغة في ذراعه الأيسر، فانسحب ومن معه إلى تونس، لتقطع ذراع عروج بأمر من الطبيب، فاستغل الأسبان فرصة انسحاب الأخوين لتعزيز دفاعاتهم بمدينة بجاية، تحسبا لأي هجوم جديد من قبل الإخوة بربروس[3].

---

[1] أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا1492 -1792، ط3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص، 159.

[2] محمد دراج، مرجع سابق، ص 189-190.

[3] عبد الكريم شوقي، مرجع سابق، ص401.

2 – توسع نشاط الإخوة بربروس في الحوض الغربي للمتوسط:

أ – فتح جيجل1514 :

كانت مدينة جيجل محتلة من قبل جمهورية جنوة الإيطالية منذ سنة 1260م، هذه الأخيرة أقامت حامية عسكرية ومركزا للتبادل التجاري، بين شمال أفريقيا و شمال وغرب البحر الأبيض المتوسط، وقد أحست الحامية بجيجل بالخطر بعد هجوم عروج على بجاية، لذلك طلبت الدعم والمدد من القائد الجنوي" أندري دوريا Andre Doria[1]" الذي كان في خدمة ملك فرنسا[2].

وعلى الرغم من أن اصابة عروج قد أدت الى قطع ذراعه الأيسر، إلا أن ذلك لم يثن عزيمته، ولم يخمد نيران الجهاد داخله. فعروج يرى أن تواجده بتونس كمقر له من شأنه أن يبعده عن أرض المعارك التي ينوي خوضها مستقبلا، فتح بجاية ليس بالأمر السهل، فتوجهت أنظاره نحو فتح مدينة جيجل وإنقاذها من الاحتلال، واتخاذها كقاعدة لعملياته العسكرية، وكنقطة انطلاق لمحاولة فتح مدينة بجاية من جديد، وتكون بذلك جيجل مقرا لتجميع المجاهدين والسلاح[3].

---

[1] أندري دوريا: رجل حرب من جنوة، يعد من اميرالات البحر الكبار في القرن 16، كان مرزقا خدم بسفنه البابا إينوسونو ملن نابولي، والعديد من الأمراء ، ليعين بعدها على رأس الأسطول الفرنسي في البحر الأبيض المتوسط في عهد فرانسوا الأول، و بعد خلافات مع الملك الفرنسي انتقل إلى خدمة شارلكان سنة 1528، فأصبح أهم أمير رال بحري اسباني في البحر الموسط، بهذه الصفة قاد وشارك في العديد من الحملات على بلدان المغرب بعد وفاته سنة 1560 ، استمرت عائلته في خدمة ملوك اسبانيا خلال القرن16م للمزيد ينظر صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514–1830، دار هومة، الجزائر، 2012ن ص58.

[2] سالم جوامع، مرجع سابق، ص 138.

[3] صالح عباد، مرجع سابق، ص 165.

ولم يكن هذا الدافع الوحيد لفتح مدينة جيجل، فقد طلب أهالي جيجل العون والمدد من الأخوين بربروس لطرد الحامية الايطالية المتواجدة بها، ليخوض عروج بذلك معركة ضد الحامية تلبية لنداء أهالي جيجل[1]، ليأتي عروج على رأس سفنه البحرية ورجاله رفقة أخيه خير الدين، ويحتدم الصراع بين الطرفين ، فعمد عروج إلى إنزال جنوده إلى البر لينضم إليه عدد من أهالي جيجل لتقديم العون والمساعدة، وانتهت هذه المعركة بانتصار الأخوين بربروس في معركتهما ضد الحامية الايطالية بالمدينة، وفتحهم لمدينة جيجل، وقتل رجال الحامية الايطالية المتواجدة بها، وليعود أهالي جيجل إلى ديارهم وأراضيهم التي هجروا منها قصرا، و خوفا من بطش رجال الحامية، كما اقتسم المجاهدون السلع والبضائع الموجود بالمركز التجاري سنة 1514 م[2].

ليقوم بعدها عروج وخير الدين بترميم قلعة الميناء المتواجدة بجيجل، وتكون تحت رقابة الأهالي مع تزويدها ب 3سفن و50 جنديا لحمايتها، وبذلك استطاع الأخوين تكوين قاعدة لهم في المغرب الأوسط، وكنقطة لتوسيع نشاطهما الجهادي والبحري، والعمل على تحرير الثغور الإسلامية المحتلة[3].

[1] سالم جوامع، مرجع سابق، ص138.

[2] صالح عباد، مرجع سابق، ص166.

[3] سالم جوامع، مرجع سابق، ص138

بـ – المحاولة الثانية لفتح مدينة بجاية 1514 م::

إن المعارك التي خاضها عروج ضد الأسبان بالقرب من سواحل مدينة بجاية، تركت أثرها وجعلت من أهالي المدينة يدركون قوة ومقدرة الأخوين، وأنهما الوحيدين القادرين على رفع الاحتلال الاسباني عنهم، لأجل ذلك شرع أمير قسنطينة وبعض مشايخ بجاية في لاتصال بالأخوين عروج وخير الدين[1]، لإنقاذ مدينتهم واستعادتها، وأورد خير الدين في مذكراته حول هذا الأمر، بأنه كان يجهز نفسه للخروج قاصدا مضيق جبل طارق، بهدف انقاذ مسلمي الأندلس الفارين من بطش المسيحيين، حين وصلته رسالة من أهالي بجاية، مرسلة مع وفد ممثل عنهم، ومما جاء فيها: « **ان كان ثمة مغيث فليكن منكم أيها المجاهدون الأبطال... فها نحن نضع أمرنا بين أيديكم...جعلكم الله سبيلا لخلاصنا، فتفضلوا بتشريف بلدنا وعجلوا بتخليصنا من هؤلاء الكفار**»[2].

تعددت الروايات حول من أرسل نداء الاستغاثة للأخوين بربروس، فالمؤرخ الفرنسي دي غرامون يذكر أن حاكم بجاية المخلوع عبد الرحمان هو من أرسل في طلب المساعدة من عروج لأجل استرجاع عرشه[3] ، وتذكر رواية أخرى أن السلطان الحفصي في تونس هو من وجه الدعوة لعروج لمساعدة أهالي بجاية، أما الشيخ أبو يعلى ابراهيم المريني فيؤكد أنا أبا بكر الوالي الحفصي بقسنطينة، هو من دخل في مفاوضات مع خير الدين بربروس لأجل طرد الأسبان من بجاية، وعلى الرغم من خلطه بين اسم عروج وخير الدين، إلا أن روايته تبدو الأقرب إلى الحقيقة والمنطق[4].

---

[1] عبد الكريم شوقي، مرجع سابق، ص400.

[2] مذكرات خير الدين، مصدر سابق، ص67.

[3] سالم جوامع، مرجع سابق، ص138.

[4] صالح عباد، مرجع سابق، ص 44.

فلبى عروج النداء وتوجه نحو بجاية رفقة 3000 بحار وأربع سفن، وكان بانتظاره حاكم بجاية[1]، وكانت الخطة تقتضي أن يهاجم الأخوين بربروس من البحر، وأن يهاجم حاكم بجاية من البر بمشاركة أحمد بن القاضي[2] بهذه الخطة، من خلال قيادته لقبائل الزواوة وبني راثن وبني فراوسن وقبائل أعالي وادي سباو[3].

تمكن عروج بعد هجومه على القلعة الخارجية للحامية من أسر 500 جندي، أما القلعة الداخلية كانت أكثر تحصينا، الأمر الذي جعل عروج يقوم بفرض حصار عليها، مع قصفها بالمدافع طيلة 20 يوما دون توقف، غير أن الأسبان لما علموا بأمر هجوم الأخوين بربروس على بجاية، أرسلوا أسطولا من السفن لدعم حامية بجاية[4]، تكون الأسطول من حوالي 100 قطعة بحرية محملة ب 10 آلاف جندي ، إلا أن عروج امام هذه القوة الكبيرة، إضافة إلى نفاذ الذخيرة في ظل خذلانهم من قبل السلطان الحفصي الذي رفض تقديم البارود والذخيرة التي طلبها منه عروج، مما اضطر الأخوين بربروس إلى الانسحاب نحو جيجل[5] .

[1] سعيد عقيب، دور خير الدين بربروسا في تثبيت الوجود العثماني بالجزائر، مجلة البحوث والدراسات، العدد 13، جامعة، الجزائر ، 2012، ص 294.

[2] احمد بن القاضي: ينحدر من عائلة ابي العباس الغبريني العالم بعلوم الشريعة والفقه، كان يعمل قاضيا لدى أخر سلاطين بجاية تمت ترقيته إلى رتبة خليفة في المنطقة الممتدة من الصحراء إلى جيجل بعد سقوط بجاية سنة 1510، تزعم القبائل قصد الوقوف في وجه الغزاة، ولما جاء عروج إلى بجاية التحق به ابن القاضي وأصبح خليفة له، وعلى اثر ذلك تولدت صداقة متينة بينهما للمزيد ينظر كورين شوفالييه، مرجع سابق، ص26-27.

[3] صالح عباد، مرجع سابق، ص44.

[4] عبد الكريم سوقي، مرجع سابق، ص401.

[5] محمد دراج، مرجع سابق، ص197.

ولم يتمكن عروج من فتح بجاية رغم كل محاولاته، وظلت مدينة بجاية مستعصية عليه، وبقيت تحت السيطرة الإسبانية إلى غاية تحريرها على يد صالح رايس الذي دخلها بتاريخ 28 سبتمبر 1555م ، وطرد الحامية الإسبانية واجبرها على الاستسلام[1].

ج – فتح مدينة الجزائر:

بعد استيلاء الاسبان على مدينة بجاية، توجه سالم التومي إلى بجاية بغية اعلان ولائه للقائد الاسباني" بيدرو نافارو Bedro Navaro"[2] ، هذا الأخير فرض عليه شروطا مجحفة من بينها دفع ضريبة باهضة، وإطلاق سراح كل الأسرى والعبيد المسيحيين المتواجدين بمدينة الجزائر، إضافة الى بناء قلعة (حصن البنيون)[3]، على تلال الجزر المقابلة لمدينة الجزائر، مع تقديم فروض الولاء والطاعة للملك الاسباني فرديناند[4]، ويتوجب على حاكم مدينة الجزائر التوجه شخصيا لإعلان ولائه، ورافقه في هذه المهمة حاكم مدينة تنس" مولاي عبد الله"، محملين بالهدايا الثمينة، إضافة إلى 130 من العبيد المسيحيين الذين تم تحريرهم[5].

---

[1] محمد السعيد عقيب، مرجع سابق، ص 294.

[2] محمد السعيد عقيب، مرجع سابق، ص294-295.

[3] قلعة البنيون: توجد على الجزيرة التي تقع على بعد 300 متر من مدينة الجزائر، سور حصن صغير بناه الأندلسيون القادمون من اسبانيا في نهاية القرن15، حيث كان يستعمل كمنارة أو برج مراقبة، وفي هذا المكان تم بناء قلعة على شكل مثمن ومحصنة بحصنين، وبعد أقل من عامين أصبح الميناء مراقبا من على صرح حصن، يحتوي على قلعتين وأربعة معاقل يربط فيما بينهما سور يحتوي على عدة فتحات، وكان يرلبض بهذه القلعة حوالي 200 جندي من الجنود المختارين،وللحصن أهمية كبرى في ذلك العصر على الرغم من صغر حجمه، للمزيد ينظر، كوري شوفالييه، مرجع سابق، ص 24.

[4] فرديناند: المدعو فرناندوا الكاثوليكي(1452-1516)، حكم أراغون بين 1479-1516، وملكا لصقلية بين1468-1516، وملكا لنابولي بين1504-1516، وملكا لسردينيا وفالنسيتا ونافار، وكونت لبرشلونة وملكا لقشتالة بين 1469-1516، تزوج سنة 1469 من إيزابيلا الأولى هذه الأخيرة التي نجحت في القضاء على غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس، سنة 1492، ينظر عبد الكريم شوقي، مرجع سابق، ص 408.

[5] كورين شوفالييه، مرجع سابق، ص 23.

وبسبب هذه القوانين والشروط المذلة والمهينة، كان أهالي مدينة الجزائر يتحينون الفرصة للتلخص من براثن الإسبان، فأوفد أهالي المدينة دعوة للأخوين بربروس لأجل مساعدتهم، فتلقى عروج دعوة سالم التومي وأهالي مدينة الجزائر سنة 1516م، لتخليصهم من الحامية الاسبانية المرابضة بقلعة البنيون[1]، وتهديم هذا الحصن[2].

وفي ظل إبداء سالم التومي استعداده لمد يد المساعدة، والعون للإخوة بربروس في حالة ما وافقوا على القدوم وتلبية نداءهم وبعد تفكير من عروج وتقليب للأمور في ذهنه، خاصة إدراكه أن باحتلال الأسبان لقلعة البنيون تسهل عليهم مهمة احتلال الجزائر وأن الأمر لايعدو أن يكون مسألة وقت للإسبان[3].وبالتالي تقوى شوكتهم في المغرب الأوسط خاصة في ظل وقوع بجاية، وهران، المرسى الكبير تحت رحمتهم.

فعروج يرى أن تواجده بمدينة الجزائر، وجعلها قاعدة له ولجنوده، خصوصا وأنها تقع في مركز ممتاز يتوسط بجاية ووهران، الأمر الذي يسهل على جنوده مهمة إنقاذ البلاد ككل من الاحتلال الاسباني، كما يجعل مدينة الجزائر مركزا يشن من خلاله هجماته شرقا نحو بجاية وغربا نحو وهران، لأجل ذلك أسرع لتلبية نداء سالم التومي وأهالي مدينة الجزائر لنجدتهم[4] ، بعد أن أمدوه بالمعلومات اللازمة التي من شأنها أن تسهل عليه مهمة اختراق الحامية، فتقدم برا نحو مدينة الجزائر، أين استقبله الأهالي بحفاوة كبيرة، مستبشرين خيرا بقدومه ومبايعته على الجهاد[5].

---

[1] عبد الكريم شوقي، مرجع سابق، ص401.

[2] كورين شوفالييه، مرجع سابق، ص27.

[3] أحمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص 173.

[4] نفسه، ص 173.

[5] عبد الكريم شوقي، مرجع سابق، ص401.

كما أن تقدم عروج نحو مدينة الجزائر تزامن مع قدوم خير الدين عبر البحر في خطة مدروسة من الأخوين، قادما على رأس عدد كبير من السفن محملة ب1500 رجل من مجاهدي الشرق الإسلامي، بينما قدرت عدد القوات التي قدم بها عروج إلى المدينة ب 800 جندي من الأتراك و 3000من مجاهدي الجبال القبائلية[1].

قبل مهاجمته حصن مدينة الجزائر استولى على مدينة شرشال، ويعتقد أن قصد عروج من ذلك هو تأمين مكان يلتجئ إليه وقت الحاجة، أو ربما أنه كان ينتظر وصول بعض الأندلسيين لضمهم إليه وكسبهم لصفه[2]، وقبل هجومه على الحصن الاسباني ، أرسل إلى قائد الحامية الاسبانية طالبا منه مغادرة قلعة البنيون وتسليمها اليه، فكان رد قائد القلعة الإسباني أنه لن يغادر القلعة لا في حالة السلم ولا في الحرب، وعمد إلى تذكير عروج بذراعه الذي فقده إثر حصاره لمدينة بجاية، وكان ثقة هذا القائد في الرد بهذه اللهجة الحاسمة بناء على حصانة الحصن ومناعته[3].

بعد هذا الرد باشر عروج فورا الهجوم على الحصن الإسباني، غير أن حصانة الحصن، إضافة إلى صغر حجم المدفعية، وقصر مداها حالت دون اختراقهم للحصن رغم قربه من مرمى المدافع[4] ، الأمر الذي أدى بعروج إلى بناء حصن مقابل لحصن البنيون، ليقوم عبره بتوجيه مدفعيته نحو حصن البنيون لقصفه[5].

---

[1] احمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص 174.

[2] عزيز سامح التر، الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1989، ص51.

[3] نفسه، ص52.

[4] عبد الكريم شوقي، مرجع سابق، ص 402.

[5] أحمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص174.

في الوقت الذي تآمر فيه سالم التومي مع الأسبان، نتيجة للمكانة التي حظي بها عروج وسط أهالي مدينة الجزائر، وبسالته في الدفاع عنها وسلطته وحضوره، جعلت سالم التومي يكن العداء له، وخوفا من أن يستولي على مكانته[1]، ولما علم عروج بهذ التآمر عن طريق جواسيسه أمر بإعدام[2] سالم التومي[3].

كما تمكن عروج من إحباط محاولة أخرى للإطاحة به من قبل عشيرة سالم التومي، كرد فعل منها على مقتله بعد تخطيطهم وتنسيقهم للأمر مع الحاكم الإسباني لحصن البنيون، هذه الخطة مفادها العمل على إحراق سفن عروج الراسية على الشاطئ، ليستغلوا فرصة انشغال عروج وجنوده بإخماد هذا الحريق ويعمدوا إلى غلق أبواب مدينة الجزائر أمامهم، وبالتالي منعه من الدخول إليها، وهذا الأمر من شأنه تسهيل مهمة القضاء عليه بسهولة وأريحية[4].

---

[1] في مسألة خيانة سالم التومي يذكر أحمد وفيق المدني: « **توجد لدينا وثيقة تدين سالم الومي، وتقول بأنه قتل من أجل الإسبان، هذه الوثيقة موجودة بين الوثائق الاسبانية المحفوظة في سيمانكاس، هذه الوثيقة عبارة عن رسالة مكتوبة باللهجة العامية أرسلها احد الإقطاعيين من شيوخ العشائر الذين خافوا على مصالحهم من عروج، ومفاد هذه الوثيقة الموجهة إلى الكاردينال خيمينيس:" الحمد لله، إلى مدبر المملكة القشتالية، وكبيرها وخليفة سلطانها قرض نال(كردينال) بعد سلامنا عليكم، فالذي نعرفكم به هو ان ابن سلطان تنس هو ابنكم ومتعلق بكم، ومحسوب عليكم، وكذا ابن التومي صاحبكم في الجزائر انذبح عليكم وعلى خدمتكم**» للمزيد ينظر أحمد توفيق المدني مرجع سابق، ص175.

[2] نفسه، ص175.

[3] في حادثة اعدام سالم التومي يذكر وليام سبينسر: «**ولما أدرك عروج ذلك عمل على ارجاع سالم التومي إلى مدينة الجزائر مظهرا له الولاء ثم شنقه بقماش عمامته، وهو في الحمام، لما كان يتأهب لأداءصلاة الظهر... وروج عروج لكلمة فحواها ان الشيخ كان قد اخنق في حمامه**»، أما احمد توفيق المدني فاكتفى بذكر أن عروج أمر بقتل سالم التومي والتخلص من دسائسه،أما التر فيذكر بعد علم عروج بالمؤامرة، امر البحارة بالوقوف يوم الجمعة على أبواب المساجد، والقاء القبض على جميع المتآمرين وقتلهم، بينما سالم التومي فقد قام بقتله وتعليقه على باب عزون وركه عدة أيام هناك، للمزيد ينظر وليام سبينسر، مرجع سابق، ص 41، احمد توفيق المدني،مرجع سابق، ص175، عزيز سامح التر، مرجع سابق، ص53.

[4] عبد الكريم شوقي، مرجع سابق، ص402.

وفي سنة 1516 م اشرف الكاردينال خيمينيس[1] على تجهيز حملة على مدينة الجزائر، خوفا من قوة بربروس التي بدأت تتنامى وتقوى، ووضع على رأس هذه الحملة واحدا من أهم رجال الحرب العاملين تحت إمرته" القائد دييغو دو فيرا، وكانت عدة هذه الحملة 35 سفينة على متنها 8 آلاف رجل، ومحملة بالعدة والأسلحة والذخائر والمدافع، نزل إلى البر بتاريخ 30سبتمبر1516م، ليرسم كل من الطرفين خططه الحربية للقضاء على الطرف الآخر، خاصة الأسبان الذين دب بهم الرعب بعد أن وجدوا أنفسهم محاصرين بين مجاهدي عروج والأسوار الحصينة، في ظل تراجع حاكم تنس الذي وعد الأسبان بالمشاركة معهم في الحملة على مدينة الجزائر[2].

انتصر عروج في هذه المعركة بعد قتله 3 آلاف جندي اسباني، وأسر 400 منهم، أما السفن الإسبانية التي فرت فصادفتها عاصفة بحرية ضربت المدينة، فأغرقت معظمها[3].

[1] الكاردينال خيمينيس: فراي فرنسيسكو خيمينيس دي سيسنيروس، يسميه العرب ابن الخميس، ولد خيمينيس في أحدى قرى قسطيلية سنة 1437 من عائلة فقيرة، كان والده قابضا للضرائب، أما والدته من عائلة اسبانية فقيرة،تخرج من جامعة سالامنك التي كانت أشهر جامعة مسيحية، درس الفلسفة، والحقوق المدنية، والقانون الديني المسيحي، واللغات الشرقية، شغل مناصب عدة من بينها: اسقف طليطلة، كردينال، بعد وفاة فرديناند سنة 1516، عين واليا على عرش اسبانيا نيابة على حفيد فيرديناند شارل الخامس الذي كان قاصرا إلى غاية بلوغه سن الرشد، تميز بتعصبه الشديد في اضطهاده للمسلمين، عزله شارل الخامس عن مهامه بعمر 81 سنة ليوفى بعدها بفترة قصيرة، ينظر عبد الحميد بن أشنهو، مرجع سابق، ص58،55، 61.

[2] أحمد وفيق المدني، مرجع سابق، ص 182،181،180.

[3] عبد الكريم شوقي، مرجع سابق، ص 402.

د – توجه أنظار عروج نحو غرب الجزائر :

لم يتوقف عروج عند تحرير صخرة البنيون، بل اتبعها بتحرير العديد من القلاع في المدن الجزائرية التي احتلها الإسبان، وكلف أخاه خير الدين بتولي القسم الشرقي من الجزائر، بينما هو توجهت أنظاره نحو القسم الغربي منها[1]، ليقوم بعدها بشن حملة لتحرير مدينة تنس من السلطان الموالي للإسبان، حتى وصله وفد من أهالي تلمسان، يحمل رسالة استغاثة من أهالي المدينة لتخليصهم من حكم أبو حمو الثالث سلطان الزيانيين[2] الموالي هو الآخر للإسبان، ليلبي عروج نداء أهالي تلمسان وأعوانها[3] .

وعندما وصل عروج إلى قلعة بني راشد التي تبعد 25 كم عن معسكر، ونحو500 كم عن مستغانم، ترك بها حامية من 600 رجل[4]، ووضع عليها أخاه إسحاق[5]، الذي لحق بأخويه عروج وخير الدين إلى الجزائر سنة 1516م قادما من جزيرة ميدللي[6]، ليواصل عروج سيره قاصدا مدينة تلمسان، وتمكن من هزيمة " أبو حمو الثالث" الزياني، الذي فر الى مدينة فاس

---

[1] محمد دراج، مرجع سابق، ص161.

[2] أبو حمو الثالث: الملقب ببوقلمون، تولى الحكم في تلمسان سنة 1503 بعد عزل أبي زيان أحمد بن محمد الثابتي وسجنه، فر أبو حمو الثالث إلى اسبانيا أمام حملة عروج على تلمسان، ثم عاد الى الحكم سنة 1518 بمساعدة الاسبان، وتوفي بنفس السنة، ينظر عبد الكريم شوقي، مرجع سابق، ص412.

[3] أحمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص186.

[4] نفسه، ص 186-187-188.

[5] اسحاق: كان اكبر اخوة عروج سنا، ولد بجزيرة ميدللي، لايعرف تحديدا سنة ميلاده، عمل بالتجارة بميدللي ولم يغادرها، تشير المصادر انه من قام بنصح اخيه عروج بعد تخلصه من الاسر الفرار إلى الاسكندرية خوفا عليه من بطش السلطان العثماني سليم الأول، لحق بأخويه عروج وخير الدين إلى تونس أين تم توليته مهمة قيادة بعض وحدات الأسطول، كلف من قبيل اخويه على تولي مسؤولية قلعة بني راشد، تمت محاصرة القلعة لفرة طويلة من قبل الاسبان بدعم من السلطان التلمساني ابو حمو الثالث، انتهت مؤونهم ولما غادر القلعة رفقة رجاله قام الاسبان وابو حمو الثالث بقتله والاستيلاء على القلعة، ينظر محمد دراج، مرجع سابق، ص 170، 172، 173.

[6] محمد دراج، مرجع سابق، ص 160.

المغربية، ليغادرها فيما بعد الى وهران ليضع نفسه تحت حماية حاكمها العام، طالبا منه العون والمساعدة لاستعادة ملكه[1].

غير أن الإسبان لم يبقوا مكتوفي الأيدي أمام انتصارات عروج في الغرب الجزائري، ليتحركوا لمحاصرة اسحاق في قلعة بني راشد بمساعدة جواسيسهم من بينهم السلطان أبو حمو الثالث، لينهي الحصار بخروج اسحاق من القلعة بصحبة مرافقيه، ليعترض الأسبان رفقة مساعديهم طريقه ويقتلوه[2].

واصلت القوات المتحالفة زحفها نحو مدينة تلمسان، أين تمت محاصرتها مدة 6 أشهر[3]، وتمكن خلالها الأسبان من دخول المدينة بعد تحطيم أسوارها بقصف متواصل بالمدافع، لينسحب عروج ومن معه نحو قلعة المشور، ونتيجة تضييق الخناق على القلعة، فلم يتبق مع عروج إلا 500 رجل من الأتراك متحصنين بها، إلا أن حل عيد الفطر حيث تقدمت جماعة من المسلمين طالبين من عروج وجنده السماح لهم بأن يقيموا صلاة العيد داخل القلعة، وما إن دخلت هذه الجماعة القلعة حتى أخرجوا من ثنايا ثيابهم أسلحة باغتوا بها جند عروج وقتلوا منهم عددا كبيرا، ورغم ذلك تمكن عروج من الثبات وألقى بالمهاجمين خارج أسوار القلعة[4].

وأمام تأزم الوضع اضطر عروج للخروج منها في محاولة يائسة منه للوصول على الساحل، أين سينتظر وصول السفن العثمانية، ليقطع عليه الأسبان الطريق ويقوموا بقتله سنة

---

[1] أحمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص188.

[2] شوقي عبد الكريم، مرجع سابق، ص403.

[3] أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهيارها 1800-1830، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2011، ص12.

[4] أحمد وفيق المدني، مرجع سابق، ص 190-191.

1518م[1]، بمنطقة شعبة اللحم بوادي المالح بالقرب من عين تموشنت، ليقوم الأسبان بعدها بقطع رأس عروج وإرساله الى اسبانيا، ليطوفوا بمدينة قرطبة حاملين رأس عروج ليتم تعليقه في نهاية الجولة في كنيستها الكبرى[2]،وتمت اعادة أبو حمو الثالث الزياني إلى الحكم مقابل دفعه لضريبة سنوية للأسبان[3].

[1] أرزقي شويتام، مرجع سابق، ص 12.

[2] محمد دراج، مرجع سابق، 163-164.

[3] شوقي عبد الكريم، مرجع سابق، ص403.

هـ – خير الدين يتولى الحكم :

عقب استشهاد عروج تم تعيين خير الدين[1] خليفة لشقيقه، بعد مبايعة أهالي مدينة الجزائر له[2]، في ظل وجود انتفاضات وتمرد في العديد من المناطق، فأرسل خير الدين حملة لتأديب شرشال، تنس، وترك القبائل الأخرى إلى غاية تنظيم الأمور عقب استشهاد شقيقه عروج، وأمضى شتاء سنة 1519م، في ترميم قلعة الجزائر، وتصليح واعداد 400 قطعة بحرية، وعدد كبير من المدافع[3].

بعد تحصينه للمدينة والقضاء على الانتفاضات الداخلية، خاصة بعد استشهاد شقيقيه عروج والياس[4]، جمع علماء مدينة الجزائر وأعيانها، ليعلن انتهاء مهمته ، واستعداده للرحيل للجهاد في مكان آخر، وأن يعينوا أميرا جديدا على المدينة[5]، غير أن اهالي مدينة الجزائر عارضوا رحيله واستجدوه البقاء، فكان من خير الدين أن ذكرهم بالظروف والأوضاع التي تمر بها البلاد في ظل التهديدات الإسبانية[6].

---

[1] من بين صفات خير الدين التي ذكرتها المراجع: كان مربوع القامة غليظ البنية جسيما شيئا ما ضخما، تميز بجحوظ عينيه، وضعف البصر، وباللثغة في لسانه مع أنه لا يظهرها، أشقر اللون مع لحيته الشقراء، يحسن عدة لغات منها: اليونانية، التركية، العربية، وقليلا من البربرية، الإيطالية، الإسبانية، الفرنسية، ينظر محمد السعيد عقيب، مرجع سابق، ص292.

[2] شارل الخامس: ولد سنة 1500م، ورث عرش اسبانيا عن والدته جان ابنة فرديناند وإيزابيلا، أنتخب أميرا لألمانيا بعد موت جده لأبيه الإمبراطور مكسيميليان، قام باضطهاد الطائفة البروتستانتية، إلا أنه اضطر سنة 1548م أن يمنحهم الحرية الدينة بعد أن حاربوه وانتصروا عليه، سنة 1556 تنازل عن اسبانيا لإبنه فيليب الثاني، وعن ألمانيا وما يجاورها لأخيه فرديناند، وأعتزل بأحد الأديرة حتى توفي سنة 1558، للمزيد ينظر محمد فريد بك المحامي، مرجع سابق، ص204

[3] محمد دراج، مرجع سابق، ص 227–228.

[4] شوقي عبد الكريم، مرجع سابق، ص404.

[5] محمد دراج، مرجع سابق، ص 228.

[6] شوقي عبد الكريم، مرجع سابق، ص 404.

ونتيجة الحاح الأهالي على خير الدين البقاء، اقترح عليهم إرسال رسالة على السلطان العثماني " سليم الأول" لإبداء رغبتهم في الانضمام تحت لواء الدولة العثمانية ، فرحب أعيان مدينة الجزائر بهذا المقترح، وأرسلوا وفدا إلى اسطنبول[1]، على رأسه " الحاج حسين كاهيته" رفيق خير الدين محملا بالهدايا، ليرحب به السلطان" سليم الأول" بهذا الوفد[2]، ليعلن قبول طلبهم، ويصدر مرسوما يقضي بتعيين" خير الدين" بايلرباي على الجزائر[3]، كما أصدر مرسوما آخر حول حماية الدولة العثمانية للجزائر، مع تقديم خطبة الجمعة وسك العملة باسم السلطان العثماني[4]، ورفع الراية العثمانية رفقة 2000 جندي من الانكشارية[5].

و – الحملة الإسبانية على الجزائر:

في الوقت الذي كان فيه وفد مدينة الجزائر متواجد باستانبول، كان خير الدين يأخذ استعداداته واحتياطاته لمواجهة أي هجمة اسبانية محتملة، خاصة بعد وصول مراسلات وتهديدات بعث بها الملك الإسباني شارل الخامس[6]، يطالبه بالرحيل، ليرد خير الدين برد شديد اللهجة يتسم بالصرامة، هذا الرد أثار حفيظة الملك الاسباني الذي أرسل حملة كبرى على مدينة الجزائر سنة 1519م، وعلى رأسها نائبه بصقلية المدعو" هيجو دومنكاد Hugo De Moncad ، الذي اتصل بحليفه سلطان تلمسان لأجل تقديم المساعد والمدد للقضاء

---

[1] محمد دراج، مرجع سابق، ص 166.

[2] صالح عباد، مرجع سابق، ص49.

[3] محمد دراج، مرجع سابق، ص 167.

[4] صالح عباد، مرجع سابق، ص 49.

[5] محمد دراج، مرجع سابق، ص 167.

[6] شارل الخامس: ولد سنة 1500م، ورث عرش اسبانيا عن والدته جان ابنة فرديناند وايزابيلا، أنخب أميرا لألمانيا بعد موت جده لأبيه الإمبراطور مكسيميليان، في فترة حكمه اضطهد طائفة البروتستانت، إلا أنه أضطر سنة 1548 أن يمنحهم الحرية الدينية بعد أن حاربوه وانتصروا عليه، وفي سنة 1556 تنازل عن عرش اسبانيا لإبنه فيليب، وعن عرش ألمانيا وما جاورها لأخيه فرديناند، واعتزل بأحد الأديرة حتى توفي سنة 1558، للمزيد ينظر محمد فريد بك المحامي، مرجع سابق، ص204.

على خير الدين، للاستيلاء على مدينة الجزائر ، إلا أن هذا الحلف لم يكتب له النجاح بوفاة سلطان تلمسان ابو حمو الثالث، ليتولى أخاه " عبد الله الثاني" زمام حكم تلمسان، هذا الأخير لم يبد حماسة لفكرة التحالف مع الاسبان، لذلك اختار الانتظار والترقب لما ستسفر عليه مجريات الأمور[1]، ليتمكن عروج بمساعدة أهلي المدينة من التصدي للحملة الاسبانية وهزيمتها سنة 1519 ليكبدها الكثير من الخسائر[2].

[1] شوقي عبد الكريم، مرجع سابق، ص، 403.

[2] نفسه، ص 403.

3- نتائج التواجد العثماني:

أ – وفود عناصر بشرية جديدة:

لم يكن وجود الإخوة بربروس في المغرب الأوسط يتوقف على تحرير المدن والمناطق المحتلة من طرف الإسبان، فقد كان انقاذ مسلمي الأندلس الفارين من محاكم التفتيش وعمليات التنصير احدى المهام التي حملها الإخوة على عاتقهم، فراحوا كلما سنحت لهم الفرصة يغيرون على السواحل والثغور والجزر الإسبانية، من أجل انقاذ مايمكن من مسلمي الأندلس[1]، يذكر خير الدين في مذكراته بخصوص هذا الأمر: « **على أن نمر من هناك إلى الأندلس لنقوم بإنقاذ من نقدر عليه من إخواننا في الدين**»[2] .

فقد استولى الاخوة بربروس على سفن اسبانية محملة بالأسرى الأندلسيين ، فتمكنوا من انقاذ 70 الف من المهاجرين الفارين من محاكم التفتيش، ليتم نقلهم إلى الجزائر، فازدهرت مدينة الجزائر بهذا العنصر الوافد الذي استطاع التأثير والتأثر بالمجتمع الجزائري، بنقل فنونهم وصناعاتهم إلى الجزائر[3].الحاق الجزائر وربطها بصفة رسمية سنة 1519م بالخلافة العثمانية، وبذلك يكون خير الدين بربروس أول حاكم للجزائر باسمها، ليصبح تعيين ولاة الجزائر من صلاحيات السلاطين العثمانيين[4].

- أصبحت الجزائر ولاية عثمانية وقاعدة للعثمانيين في غرب البحر المتوسط، وأصبحت مسؤولة عن إدارة شؤون الحكم في طرابلس الغرب[5].

---

[1] سالم جوامع، مرجع سابق، ص140.

[2] مذكرات خير الدين، مصدر سابق، ص 67.

[3] محمد دراج، مرجع سابق، 167.

[4] بلقاسم صديقي، مرجع سابق، ص 10.

[5] محمد دراج، مرجع سابق، ص236.

- أعطى الحكم العثماني للجزائر اسمها الحديث الذي بدأت تعرف به، والذي كان يقتصر على اسم المدينة التي صارت مقر الحكم العثماني، كما أدخل مفهوم الحدود السياسية في شمال افريقيا، ورسموا للجزائر حدودها الحالية التي لم تغير تقريبا منذ ذلك الوقت[1].

[1] بلقاسم صديقي، مرجع سابق، ص 10

الفصل الثالث :

عرض آراء المؤرخين الجزائريين والفرنسيين

المبحث الأول: الوجود العثماني بالجزائر حماية

المبحث الثاني :الوجود العثماني بالجزائر احتلال

المبحث الثالث : مقارنة بين الحماية والاحتلال

تمهيد.

يطرح الدكتور ابو القاسم سعد الله في كتابة ابحاث وآراء في تاريخ الجزائر تساؤلات جوهرية حول طبيعة الوجود العثماني بالجزائر هل هم غزاة؟ أم منقذين؟ وهل هذا الوجود كان نعمة ام نقمة على الجزائر وأهلها[1]، وانطلاقا من هذه التساؤل سنحاول عرض آراء بعض المؤرخين والمهتمين بهذا الموضوع، حول طبيعة الواجد العثماني بين الحماية والاحتلال.

1- الرأي الأول: الوجود العثماني بالجزائر حماية.

تحدث شيخ المؤرخين الجزائريين أبو القاسم سعد الله عن الوجود العثماني في الجزائر، فرغم أن لديه مآخذ سلبية عليه، لكن هذا لا يمنع حسب وجهة نظره من وجود جانب مضيء له. فقد وصف هذا الجانب المشرق والمضيء للوجود العثماني بالجزائر بقوله: « **أما الجانب المضيء منه- أي العهد العثماني- فهو أن العثمانيين قد انقذوا بتدخلهم في بداية القرن العاشر المغرب الإسلامي من الاحتلال الأجنبي المؤكد، وقد كانوا في ذلك غزاة مجاهدين حالفوا مع الجزائريين لصد العدوان الصليبي، وحماية الثغور وإقامة حكم إسلامي ثاب وقوي، ظل طيلة ثلاثة قرون شوكة في حلق العدو...وصخرة تحطمت عليها كل محاولات الغزو الخارجي**»[2].

و تحدث سعد الله بالإيجابية عن التواجد العثماني بالجزائر في مؤلفاته الأخيرة، وسعى إلى تحليل طبيعة النزاع والصراع القائم بين الدولة العثمانية وإسبانيا، أو بالمعنى الأصح بين الإسلام والمسيحية، فكانت الدولة العثمانية سدا منيعا لحماية العالم الإسلامي،

[1] ابو القاسم سعد الله، ابحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط2، دار البصائر للنشر والتوزع، الجزائر، 2007، ج1، ص9.

[2] ابوالقاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998، ج1، ص 15.

فحماية الدين الإسلامي هو العامل الذي استقطب الجزائريين للالتفاف حول العثمانيين، وأضحوا بمثابة حماة الإسلام [3].

فمن منظور سعد الله أن على الجزائري أن يشعر بالفخر والاعتزاز بالعهد العثماني فيذكر قائلا: « **وتجدر الإشارة إلى أن الجزائريون يجهلون للأسف تاريخهم في جميع عصوره(...) لو عرف الجزائريون تاريخهم كله، ول تشبعوا من دراسة العهد العثماني وأن الجزائر قد أخذت شكلها الجغرافي والسياسي منذ هذا العهد، والحدود السياسية ترجع إلى هذا العهد، والشكل الجغرافي–ماعدا في الجنوب– يرجع إلى هذا العهد، والمعاهدات الدولية مع رجالها يشهد عليه هذا العهد، والأسطول تأسس في هذا العهد، والوحدة الترابية من مخلفات هذا العهد، وسك العملة، ووجود الراية ترجعان إلى هذا العهد، وهذا لاينبغي ان لم يكن هناك ظلم واستبداد وتمييز بين السكان وخرق تعاليم الشريعة الإسلامية التي كانت تحكم الجزائريين والعثمانيين على السواء**»[4]

ومن مؤيدي هذا الطرح نجد أحمد توفيق المدني الذي يرى ان العثمانيين وحدوا البلاد الجزائرية من الحدود التونسية إلى التخوم المراكشية، ومن ساحل الروم إلى ما وراء الزيبان، و أخضعت لسلطة مركزية واحدة وهو ما أدى إلى الوحدة الجزائرية، هذه الوحدة أدت إلى قوتها، وتوافد ممثلي البلدان، وقعت المعاهدات وتتفاوض بصفة رسمية مع العديد من الدول[5].

كما دافع الدكتور على آجقو عم فكرة قيام الدولة الجزائرية الحديثة في فترة الحكم العثماني للجزائر، و يرى من منظوره أن هذه الفترة تعرضت للكثير من التشويه وتلطيخ

---

[3] جبران لعرج، تقييم المؤرخ ابو القاسم سعد الله لفترة الحكم العثماني بالجزائر، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 3، جامعة حمة لخضر، الوادي، 2021، ص187.

[4] عثمان زقب، جدلية التبعية والاستقلال في الجزائر العثمانية، الملتقى الدولي حول العلاقت الجزائرية التركية في ميزان التاريخ والسياسة والثقافة والاقتصاد، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014، ص2

[5] أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر1766–1791، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 98.

السمعة لمن أوجد الدولة الجزائرية، وهذا راجع –حسب رأيه– إلى طبيعة صراعهم مع الأوروبيين النصرانيين خصوصا الإسبان، بحيث وقف العثمانيون ندا لهم ولمخططاتهم[6].

وفي إطار الحديث حول طبيعة الحكم العثماني بالجزئر، نظمت جريدة الخبر ندوة حول هذا الموضوع بتاريخ 16-1-2012، تم خلال هذه الندوة استضافة العديد من المؤرخين والمهتمين بالتاريخ العثماني، وأدار هذه الندوة الصحفي حميد عبد القادر، وفي ختام هذه الندوة خلص المشاركون بفكرة أن العثمانيين لم يحتلوا الجزائر، ومن بين الحاضرين في هذه الندوة الدكتور شكيب بن جفري، هذا الأخير الذي يرى أن العثمانيين كان لهم دور كبير في حفاظ الجزائر على مقوماتها العربية والإسلامية، ، وشخصيتها الوطنية، فمن منظوره ان الحديث عن الاستعمار العثماني للجزائر، هو تشويه وتزييف للحقائق التاريخية[7].

فالحكم العثماني بالجزائر ترك للقبائل جلها حرية التصرف السياسي، والاجتماعي تحت راية الحكم العثماني[8]، كما تركت لهم حرية الحفاظ عل عاداتهم وتقاليدهم، آخذين بعين الاعتبار قضية العصبية، فالأستاذ رضا عمراني يرى أن الحكم العثماني في الجزائر، كان قائما على حسن المعاملة ونبذ العنف، كما رحب بهم الجزائريون، سبب رضى الجزائريين بالتواجد العثماني ميلهم للخلافة الإسلامية [9]

كما أيد الأستاذ بلقاسم باباسي في هذه الندوة طرح الدكتور سعد الله القائل أن للعثمانيين دور كبير ورئيس في رسم حدود الدولة الجزائرية الحالية ورد الأطماع الخارجية عنها، فالكثير من طائفة رياس البحر كانوا من أصول جزائرية كالرايس حميدو، ويرى أن نظام

---

[6] عثمان زقب، مرجع سابق، ص3

[7] نفسه، ص 3.

[8] محمد يعيش، جهيدة بوعزيز، اشكالية البحث في طبيعة كتابة تاريخ الوجود العثماني في الجزائر، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، العدد10، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2016، ص98.

[9] عثمان زقب، مرجع سابق، ص6.

القرصنة الذي اتهمت به الدولة العثمانية، من وجهة نظره هو نظام مؤسس له قوانينه وفق استراتيجية تضعها الدولة[10].

ويدافع الدكتور بن جفري عن العثماني بالجزائر رافضا فكرة أنه استعمار، ويرى أنه لو كان هذا الأمر صحيحا لكنا اليوم نتكلم اللغة العثمانية بدل العربية، بل العكس فالأتراك لم يفرضوا لغتهم كما الحال بالنسبة لفرنسا، بل اعتمدوا اللغة العربية كلغة للدولة الجزائرية، وهي اللغة التي كانت تكتب بها المعاهدات، ويرى أنه لولا تواجد الإخوة بربروس للدفاع عن الجزائر لكنا اليوم نتحدث الإسبانية، ولكنا مثل سبتة ومليلة[11].

أما من ناحية السلطة في الجزائر فكان للحكام العثمانيون سلطة مباشرة في بعض مناطق الساحل الجزائري والمدن الهامة، أما في المناطق الداخلية فكان الحكم غير مباشر أو يتم بالوكالة، ويشمل ذلك منطقة الصحراء، وبذلك يتم احترام خصوصيات المجتمع الجزائري، من ناحية العصبية القبلية أو العشيرة[12].

فالعثمانيون تواجدوا بالجزائر بطلب من أهاليها عندما أحسوا بالخطر الأوروبي، لذلك لجأوا إلى الإخوة بربروس لحمايتهم، والجزائريون هم من أوفدوا للسلطان سليم الأول للإنضمام تحت لواء الخلافة العثمانية[13].

كما عدد الدكتور أبو القاسم سعد الله الأدوار الإيجابية التي ميزت وطبعت الحكم العثماني بالجزائر ومن بينها ان لها الفضل في تشكيل الروح الوطنية، وإبراز الدور الإقليمي والسياسي والعسكري للجزائر في البحر الأبيض المتوسط، وحمايتها من الهجمات الأوروبية والاحتلال لمدة طويلة من الزمن ويذكر في ذلك قائلا: «... **فإذا كنا من**

---

[10] نفسه، ص ص5-6.

[11] نفسه، ص 7.

[12] عثمان زقب، مرجع سابق ، ص9.

[13] احمد بن يغزر، فترة الحكم العثماني بالجزائر في كتابات الأستاذ أبو القاسم سعد الله، مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، جامعة المسيلة، 2018، ص84.

أنصار فكرة الجزائر القطرية فالفضل في إنشائها يرجع بالدرجة الأولى إلى هؤلاء الرجال الذين جعلوا من المملكة الزيانية، وجزء من المملكة الحفصية، وإمارات سويد والثعالبة والذواودة وغيرها جعلوا منها دولة الجزائر التي استمرت عدة قرون، والتي اصبحت تدعى جلادة المسيحية والتي لم يعتد عليها لا الإستعمار الفرنسي سنة 1830»، كل هذه المزايا التي ذكرها سعد الله لم يمنع ان يشير إلى بعض سلبياتها لكن لا تارن بما فعله الاحتلال الفرنسي بالجزائر[14]، ومن بينها :-على حد قوله: «...**نعم هناك بعض التصرفات التي قد يتفق فيها العثمانيون مع الفرنسيين، ومنها لحاق الجزائر بالدولة العثمانية، ثم في العهد الفرسي بالدولة الفرنسية، وتولى حكم البلاد في كلتا الحالتين قبل حكام غرباء عنها، باستثناء قلة من الباشوات والبايات في العهد العثماني وبالتالي على أهل البلاد، ولم يفرضوا على السكان مذهبا ولا لغة ولاثقافة معينة، بل أسهموا مع أهالي البلاد في بناء المدارس والمساجد والزوايا وتوفير الأوقاف للشؤون العلمية، والدينية، والاجتماعية، وقد تركوا اللغة العربية هي السائدة في التعليم والتأليف والثقافة العامة**».

-عزلة الحكام العثمانيين وإستعلائهم عن الجزاريين، فلم يحاولوا الاحتكاك بالمجتمع الجزائري، ولا الإهتمام بهم.

- إهمالهم للجانب الثقافي والعلمي، وإعطاء الأولوية للغنائم، والغزو وشن الغارات، فهي لم تسعى لتأسيس نظام للتعليم، ولم تعمل على نشاء المراكز الثقافية، أو المدارس أو فتح المساجد أمام طلبة العلم.

-الثقافة والتعليم كانت تمول من طرف السكان والمواطنين ولا علاقة للسلطة العثمانية.

- تهميش الأتراك العثمانيين للعنصر الجزائري، وإبعاده عن شؤون الحكم ودوائر القرار[15].

---

[14] نفسه، ص83

[15] نفسه، ص 85.

– قلة اهتمامهم وعنايتهم بتدوين الطب والحساب والفلك والرسم والعمارة والموسيقى قليلة[16].

وفي الأخير لا نجد أفضل من شهادة أحد المؤرخين الفرنسيين الذي انتصر للإخوة بربروس فيذكر دي غرامون في كتابه تاريخ الجزائر تحت حكم الأتراك: « **ان الكثير من المؤرخين لايرون في عروج إلا زعيم عصابة ليس إلا، وأنني لا أعرف حكما جائرا مخالف للحقيقة كمثل هذا الحكم، فإن بربوس الأول عروج ما كان إلا جنديا من جنود الإسلام المغاوير، جاهد فوق متن البحار جهادا لا هوادة فيه، ضد أعداء ملكه، وضد أعداء ملكه، وضد أعداء دينه، على أنه كان ملتزما خلال جهاده، هذا بكل القواعد والأسس التي كان العمل جاريا بها خلال تلك الحقبة من التاريخ، فلم يكن أبدا أكثر قسوة، ولا أقل قسوة من الأعداء الذين كان يمعن في محاربتهم»**[17]

ومن المؤلفات الجزائرية الي تناولت فترة الحكم العثماني بالجزائر نجد:

أ– الشيخ مبارك الميلي في مؤلفه تاريخ الجزائر في القديم والحديث سنة 1929م .

ب– احمد توفيق المدني، حقق مخطوطات وترك مؤلفات عدة حول الحكم العثماني ومن بينها:

–كتاب الجزائر سنة 1930 .

–كتاب محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766–1791 سنة 193.

– كتاب حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492–1792 صدر بعد استقلال الجزائر.

– تحقيق مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر.

[16] جبران لعرج، مرجع سابق، ص 187.

[17] أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة بين الجزائر واسبانيا 1492–1792، مرجع سابق، ص194.

ج- الشيخ عبد الرحمن الجيلالي، صدر له أربعة مجلدات حول تاريخ الجزائر من القديم إلى غاية 1954، وخصص الجزء الثالث للعهد العثماني.

وهي مؤلفات في مجملها كانت ردا على كتابات مؤرخي المدرسة الفرنسية، لتصحيح المغالطات والتشويهات التي لحقت بفترة الحكم العثماني بالجزائر[18].

2- الرأي الثاني: الوجود العثماني بالجزائر احتلال.

اعتبر المؤرخون الفرنسيون أن فترة الحكم العثماني بالجزائر، هي فترة استبداد وطغيان مارسته السلطة العثمانية على الجزائر، ما اتسمت به هذه المرحلة من فوضى سياسية وصراع على السلطة، وما لحقه من اغتيالات، كما وصفوا بأنهم أميون لا يملكون قدرا من الخبرة السياسية، فهم بالأساس لصوص وقراصنة ومجرمين[19] .

فقد حال نظام ا لحكم العثماني دون حصول الجزائر على مقومات الدولة الوطنية، كما أعاق تقدمها وتطورها اجتماعيا واقتصاديا. فهو من وجهة نظرهم هو حكم استبدادي يتسم بالطغيان فهو نظام جمهوري عسكري، كما أن الحاكم لا يمكن تعيينه خارج طائفة الانكشارية ورياس البحر، ولهم الحق في تعيين من يعمل على خدمتهم في مناصب مرموقة، فقد سعى نظام الحكم هذا إلى استغلال عامة الشعب، وهو المسؤولون من حالة الجهل والتخلف التي أصابتهم[20].

فقد اعتبر المؤرخون الفرنسيون اضافة الى لعض المؤرخين والكتاب الجزائريون والعرب، بأن الحكم العثماني بالجزائر هو احتلال أجنبي، وكان هدف الفرنسيون من وراء ذلك

---

[18] بوشنافي محمد، الكتابة التاريخية في الجزائر العهد العثماني نموذجا، مجلة العصور الجديدة، العدد 3-4، 2012، ص ص 149-150.

[19] نفسه، ص147.

[20] حسن بربورة، اشكالية نظام الحكم العثماني في الجزائر 1518-1830م، بين نظرة المدرستين التاريخيتين الفرنسية والجزائرية، المجلد 8، العدد3، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية،مركز الحكمة للبحوث والدراسات، الجزائر، ص 65.

طمس معالم هذه الدولة التي وقفت بالند لهم، وأوقفت مشاريعهم التوسعية والاستعمارية في المنطقة، وتصدت لحملاتهم، وألقت بهم الهزائم المتكررة[21].

وعلى العموم فالمدرسة الفرنسية لخصت الحكم العثماني بالجزائر بأعمال القرصنة واللصوصية، واتهمته باستعباد المسيحيين والبطش بهم، كما حملته مسؤولية الأوضاع المزرية التي عاشتها مدينة الجزائر، كما عمدت إلى استبعاد المصادر المحلية والعثمانية في كتاباتها حول تاريخ الجزائر، معتبرة اياها أنها غير دقيقة ولا يعتد بها، وتفتح المجال أمام الإفتراضات والتأويلات[22]، واعتمدوا في كتاباتهم على الجزائر في فترة الحكم العثماني على ما أوردته المصادر الربية، وما أوردته تقارير الرحالة والسفراء والقناصل[23].

وقد بررت فرنسا حملتها على الجزائر بأنها جاءت لتأديب الأتراك والثأر لهزائمهم، وانكساراتهم أمام العثمانيين، ولا تستهدف بذلك الجزائريين، وفق ما أورده البيان الذي أصدرته فرنسا: « **اننا نحن اصدقائكم الفرنسيين، نتوجه الآن نحو مدينة الجزائر، اننا ذاهبون لكي نطرد الأتراك من هناك، ان الأتراك هم أعداءكم وطغاتكم الذين يتجبرون عليكم، ويضطهدونكم والذين يسرقون أملاككم وانتاج أرضكم، والذين يهددون حياتكم باستمرار، واننا لن نأخذ المدينة منهم لكي نكون سادة عليها، اننا نقسم على ذلك بدمائنا، واذا انضممتم الينا، واذا برهنتم على أنكم جديرون بحمايتنا فسيكون الحكم في ايديكم كما كان في السابق، وستكونون سادة مستقلين على وطنكم**»[24].

بينما سعد الله في بداياته الأولى نظر للحكم العثماني بالجزائر بنظرة سلبية بسبب:

---

[21] عثمان زقب ، مرجع سابق، ص 3.

[22] الغالي غربي، عطالله فشار، المدرسة التاريخية الفرنسية وموقفها من الوجود العثماني في الجزائر، مجلة دراسات وأبحاث، المجلة العربية في العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد26، 2017، ص ص 6-7.

[23] ناصر الدين سعيدوني، دراسا وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، سلسلة الدراسات الكبرى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 32.

[24] الغالي غربي، عطالله فشار، مرجع سابق، ص 76.

- حالة التخلف والانحطاط التي سادت الجزائر في هذه الفترة، ووصف العثمانيين بقوله: **« كانوا في معظم الأحيان جهلة لا يعرفون حتى القراءة والكتابة، كما كانوا مغامرين لا فائدة لهم من الحكم إلا جمع الضرائب والتسلط».**
- سلب أموال الجزائريين عن طريق جمع الضرائب والرشوة فيذكر: « **انهم تعدوا على حركات الأوقاف وأموال العجزة واليتامى، وكانوا لا يسمحون للجزائري ان يقترب من النفوذ السياسي... »**[25].
- أما النظام السياسي من وجهة نظره، فقد كان جمهوريا عسكريا مغلقا، وانتقال السلطة من حاكم لآخر عن طريق العنف الشديد والاغتيالات.
- طريقة الحكم المتشددة كانت وراء قيام العديد من الانتفاضات والثورات[26] .

ويمكن القول أن حكام الجزائر العثمانيون لم يولدوا بالجزائر أو نشأوا بها[27]، وكنتيجة لهذا الحكم الذي أغلق جميع النوافذ، وجعل البلاد تعاني من ظلم الحكام واستبداد الاقطاع، وتفشي الجهل والتخلف احتلت فرنسا الجزائر[28] فيذكر قائلا: « **لعلي افاجئكم بالقول أننا لم نجرب الحكم قبل 1962، لم تكن لنا تقاليد في السلطة وتسيير شؤون الدولة، كما هو الحال مثلا عند جيراننا، ولم تكن لنا عائلة حاكمة توارثت الحكم على أساس التمذهب الديني، او التغلب السياسي حتى الاستقلال الذي كان قبل 1830 كان في الحقيقة لدولة عثمانية تحت قيادة الباشوات، ونحن لا نريد أن نعود مثلا إلى حكم الداي حسين، ولا إلى نوعية استقلاله فقد كان حكما عسكريا مستبدا وغريبا، وكنا تحته نسمى رعايا، وكنا مضطهدين ومهمشين اقتصاديا وسياسيا على الأقل، بينما**

---

[25] جبران لعرج، مرجع سابق، ص 184.

[26] حسن بربورة، مرجع سابق، ص ص 10-11.

[27] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ج1، 1998، ص143.

[28] ابو القاسم سعد الله، ابحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، مرجع سابق، ص5.

ثروات بلادنا كانت في أيدي عائلة بكري وبوشناق اليهودية، وهي العائلة التي كانت تمثل صلة الوصل بين الجزائر وأوروبا... ومن منكم يريد أن يصبح رعية للداي حسين من جديد، وتحت رحمة عائلة بكري وبوشناق ثانية؟ وهل أنا في حاجة إلى التذكير بأن السبب الأساسي للاحتلال الفرنسي يرجع إلى ديون عائلة بكري وبوشناق؟، وإذا ما كان الاحتلال الفرنسي من فضل علينا فهو ايقاظه لنا كي نخرج من عهد القبيلة إلى عهد الوطنية، ومن عهد الاقطاع إلى عهد الشعب»[29].

اما ويليام شالر القنصل الأمريكي بالجزائر فد وجه انتقادات وادانات للحكومة التركية من بينها:

- ✓ حرمانها للأهالي الجزائريين سواء عرب أو أمازيغ من شغل مناصب حكومية، ومن إدارة شؤون بلادهم باستثناء العمل في البحرية.
- ✓ انها تقو م على عاتق حثالة من الإنكشارية، ينتمون إلى أدنى الطبقات في بادهم، لتمنح لهم في الجزائر المناصب العليا، رغم أمية الكثيرين منهم.
- ✓ منعت الأهالي من التجارة الخارجية، وذلك راجع إلى خوفها من ازدهار التجارة مما يؤدي إلى تدف الثروة للأهالي، فهم يشعرون بالغيرة من كل شخص يتمتع بقدر من الرخاء والرفاهية دون أن تكون تحت سيطرتهم المباشرة.

ويصف العثمانيين بالجزائر بقوله: « **ان عصابة من المغامرين الأجانب قد استولوا على جميع الوظائف الحكومية وعلى جميع مصادر الربح والرشوة، تحت إشراف الحكومة التي يشكلونها هم أنفسهم، وهذا النوع من الحكم توجد له أمثلة، وأنا أن تحرم مؤسساتهم حتى الأطفال الذين يولدون لهم في البلد أي حظ من الاعتبار والشرف والمال والثقة، ويبقى كل ذلك وقفا على**

[29] ابو القاسم سعد الله، ابحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط1، دار الرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ج4، 1996، ص13

المغامرين الذين يجندون في الخارج فهذا هو الشيء الغريب حقا»، كمايصفهم بأنهم أفراد عصابة يعترفون أن لاوطن لهم غير الجزائر، وأفصحوا عن رغبتهم أن يستقروا بها ويتركوا ذرية لهم[30]

3- مقارنة بين الحماية والاحتلال :

أسال الوجود العثماني في الجزائر الكثير من الحبر حول طبيعة الحكم العثماني (1519-1830 م) وهل كان حماية أم احتلال في حين أن البعض يرى أنها حماية لها مساوئها ولها إيجابياتها وخاصة أبناء المدرسة الوطنية للتأريخ والمهتمين بتلك الفترة المهمة في تاريخ الجزائر .

ويقول رائد الدراسات العثمانية في الجزائر الدكتور ناصر الدين سعيدوني في ندوة علمية بجامعة عبد الرحمان ميرة بولاية بجاية حول " مرور 500 عام على قدوم الإخوة بربروس إلى شواطئ الجزائر" وهي ندوة نظمت سنة 2016 بحضور العديد من المؤرخين ومن بينهم المدير العام للأرشيف الوطني أنذاك مستشار رئيس الجمهورية المكلف بالذاكرة حاليا عبد المجيد شيخي ، أن هناك أطروحات تتحدث أن الوجود العثماني في الجزائر كان "إحتلال" وهي أطروحة حسب الدكتور سعيدوني أسس لها دي غرامون [31] وبعض الكتابات الأوروبية ومنهم وليام شالر .

حيث قال كما ذكرت سابقا ويصف العثمانيين بالجزائر بقوله: « **ان عصابة من المغامرين الأجانب قد استولوا على جميع الوظائف الحكومية وعلى جميع مصادر الربح والرشوة، تحت إشراف الحكومة التي يشكلونها هم أنفسهم، وهذا النوع من الحكم توجد له أمثلة، وأنا أن تحرم مؤسساتهم حتى الأطفال الذين يولدون لهم في البلد أي**

---

[30] ويليام شالر، مذكرات ويليام شالر القنصل الأمريكي بالجزائر1816-1824، تعريب اسماعيل العربي، سلسلة الدراسات الكبرى الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص ، ص ص 15، 50-51.

[31] دي غرامون : ميشيل دي غرامون هو قرصان ومفوض ومؤرخ فرنسي ولد في سنة 1645 في باريس

حظ من الاعتبار والشرف والمال والثقة، ويبقى كل ذلك وقفا على المغامرين الذين يجندون في الخارج فهذا هو الشيء الغريب حقا" [32]

ويقول سعيدوني أن كل هذه الروايات الأوروبية حول الوجود العثماني في الجزائر ، في ذات المحاضرة أنها رواية تاريخية بخلفية سياسية محضة ، كان هدفها التمهيد للمشروع الاستعماري في المنطقة حسب سعيدوني ، ويقول الأخير أن هناك أشخاص ومهتمين كثر راحوا ضحية الألعوبة الاستعمارية ، في تشويه هذه المرحلة التاريخية المهمة ، ومن بين هؤلاء مولود قايد [33]وعبد الرحمان بن آشنهو إضافة إلى محي الدين جندر .

وقال الدكتور سعيدوني خلال ذات المحاضرة أن هؤلاء تأثروا بهذه المقولات الأوروبية التي ترسخ أن إرتباط الجزائر بالعثمانيين كان نوع من الإستعمار ، ورأيي الشخصي ليس بعيد عن رأي الدكتور سعيدوني حيث أنه لولا العثمانيين و الإخوة بربروس للدفاع عن الجزائر لكنا اليوم نتحدث الإسبانية، ولكنا مثل سبتة ومليلية المدينتين المغربيتين اللتان لازالتا تحت وطأة الاحتلال الإسباني ، حسب الدكتور بن جفري .

وتطرق بن جفري إلى جزئية مهمة جدا هي من معايير الاحتلال والاستعمار غابت عن الوجود العثماني في الجزائر ، وهي جزئية اللغة فالعثمانيون لم يفرضوا لا لغتهم ولا مذهبهم الحنفي على الجزائريين والدليل أن الشعب الجزائري اليوم يتكلم اللغة العربية لا العثمانية التركية ويتبع المذهب المالكي لا المذهب الحنفي .

---

[32] ويليام شالر، مصدر سابق ص ، ص ص 15، 50-51.

[33] مولود قايد : سياسي، و مؤرخ جزائري من مواليد 20 جانفي 1916 بقرية تيمنقاش بدائرة قنزات، ولاية سطيف .و هو أخ الشهيدة مليكة قايد
https://3rabica.org/%D9%85%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AF_%D9%82%D8%A7%D9%8A%D8%AF 17 ماي 2022

عكس الوجود الاستعماري الفرنسي الذي فرنس كل شيء وحاول تنصير الشعب الجزائري من خلال الراهب شارل لافيجري [34] الذي كان يبتز الجزائري بالخبز مقابل التنصير .

ويضيف ناصر الدين سعيدوني أن هناك مؤرخون أعطوا للمرحلة العثمانية في الجزائر حقها على غرار أحمد توفيق المدني الذي قال" أن العثمانيين وحدوا البلاد الجزائرية من الحدود التونسية إلى التخوم المراكشية، ومن ساحل الروم إلى ما وراء الزيبان، و أخضعت لسلطة مركزية واحدة وهو ما أدى إلى الوحدة الجزائرية، هذه الوحدة أدت إلى قوتها، وتوافد ممثلي البلدان، وقعت المعاهدات وتتفاوض بصفة رسمية مع العديد من الدول"[35].

وتطرق المدني إلى جزئية أكثر أهمية من جزئية اللغة والدين وهي الدولة القومية أو الدولة الوطنية فالعثمانيون رسموا الحدود السياسية الحالية للجزائر ، عكس مفهوم الاستعمار الذي يفرق في عادته ولا يجمع ولا يوحد .

ويقول الدكتور سعيدوني في ذات المحاضرة أنه من خلال دراسته ومن خلال تجربته حول التاريخ العثماني في الجزائر ، أن الإمبراطورية العثمانية هي "ظاهرة" حسبه تشمل البحر المتوسط وبذلك نجد الدولة العثمانية هي في الواقع أعطت الإطار المتكامل للمنطقة العربية الإسلامية وكان أحسن حل موجود ولم تكن إستعمار أو تبعية وليست إستعمار أو إستبداد بل هي وحدة من خلال التنوع .

ووصف الدكتور أبو القاسم سعد الله في كتابه أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، الإمبراطورية العثمانية بـ "الخلافة العثمانية" التي أنقذت الجزائر من الإسبان وأطاحت بمعقل البيزنطيين القسنطنطينة وتحويل مقر الخلافة الإسلامية نحوها أنظر [36]

---

[34] شارل لافيجري : الكاردينال شارل مارسيال ألمان لافيجري هو كاردينال فرنسي ولد في بايون بالبيرني الأطلنطية، عمل أستاذ تاريخ بجامعة السربون بباريس فيما بين 1854و1856للمزيد ينظر
https://www.almrsal.com/post/1066615

[35] أحمد توفيق المدني ، نفسه ، ص 98.

[36] سعد الله ، نفسه ،ص9

وبالتالي يكون شيخ المؤرخين سعد الله قد نفى تهمة الاحتلال عن العثمانيين والذين يحاول الأوربيون ومن سار في فلكهم أن يشوهو مرحلتهم في الجزائر .

فالعثمانيون تواجدوا بالجزائر بطلب من أهاليها عندما أحسوا بالخطر الأوروبي، لذلك لجأوا إلى الإخوة بربروس لحمايتهم، والجزائريون هم من أوفدوا للسلطان سليم الأول للإنضمام تحت لواء الخلافة العثمانية[37].

فكيف حال نظام الحكم العثماني دون حصول الجزائر على مقومات الدولة الوطنية، كما أعاق تقدمها وتطورها اجتماعيا واقتصاديا. فهو من وجهة نظرهم هو حكم استبدادي يتسم بالطغيان فهو نظام جمهوري عسكري – حسب الفرنسيين – والجزائريين هم من إستنجدوا بالإخوة بربروس للتخلص من الإسبان ، والسؤال المطروح أيضا لماذا بقي العثمانيون أكثر من 3 قرون دون أي مقاومة تذكر إن كانت احتلال كما يزعمون .

وذكرت في المدخل العام الدولة أن الزيانية لم يكن لها باع طويل في الجهاد الإسلامي سواء برياً أم بحريا والذود عن المنطقة كما لا تتوفر فيها مقومات الدولة بقدر ماهي عشيرة أو كيان سياسي " ضعيف " محدود القوة ضائع وتائه بين قوتين كل منهما يسعى إلى السيطرة على المنطقة و سحق الطرف الآخر نهائيا وإلغائه، وهذا الوضع الصعب كبل بني زيان وجعلهم عرضة للنفوذ الحفصي تارة والنفوذ المريني تارة أخرى ويستقلون في مرات قليلة ، واستعان بنو زيان مرات بالحفصيين ضد المريينين وبالمرينين ضد الحفصيين، طبعا حسب المصالح المشتركة التي تغيب حين يضعف هؤلاء فيتخلى بنو زيان عن كليهما[38]

[37] احمد بن يغزر، فترة الحكم العثماني بالجزائر في كتابات الأستاذ أبو القاسم سعد الله، مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، جامعة المسيلة، 2018، ص84.

[38] الغنيمي ، نفسه ، ص 116

- ولكن في النتائج التي تلت الحكم العثماني ذكرت أعطى الحكم العثماني للجزائر اسمها الحديث الذي بدأت تعرف به، والذي كان يقتصر على اسم المدينة التي صارت مقر الحكم العثماني، كما أدخل مفهوم الحدود السياسية في شمال افريقيا، ورسموا للجزائر حدودها الحالية التي لم تغير تقريبا منذ ذلك الوقت[39]

وبالتالي أن الوجود العثماني في الجزائر منح لها حدود سياسية وكيان مستقل وتنظيم إداري محكم ، إضافة إلى أنه كان حماية حقيقية من جحافل الغزو الإيبيري الذي كان يهدد وجود هوية المنطقة بشكل كبير ، والدليل ما نراه اليوم في المغرب الأقصى الذي تعيش بعض مدنه تحت نير الاستعمار الإسباني دون أن يحرك ساكن حتى أن هاته المدن المغربية لم تعد تدين بالإنتماء إلى أصلها .

وبخصوص الحجج التي يتحدث عنها أصحاب الرواية الاستعمارية حول التداول على السلطة والاستبداد يقول محمد أرزقي فراد في مقال له نشر على موقع الشروق أون لاين " ليس من الموضوعية أن ندرس الفترة العثمانية في الجزائر خارج سياقها التاريخي، أي إنه لا يمكن تشريح هذه الفترة تشريحا سياسيا بمفاهيم وأدوات هي وليدة العصر الحديث، كالقومية والقطرية وحقوق الإنسان والتداول على السلطة والمؤسسات الديمقراطية. لقد جاء العثمانيون إلى الجزائر بطلب من سكانها، في ظرف سياسي عصيب يتمثل في تمدد الخطر الإسباني المسيحي، الذي كان يسعى إلى تنصير شمال إفريقية بعد طرد المسلمين من ديارهم في إسبانية، في وقت غابت فيه السلطة المركزية في الجزائر، بسبب انقسام البلاد إلى إمارات كثيرة"[40].

---

[39] بلقاسم صديقي، مرجع سابق، ص 10

[40] محمد أرزقي فراد ، مقال منشور على موقع الشروق أون لاين ، بعنوان الحكم العثماني في الجزائر.. وصال لا احتلال ، tps://www.echoroukonline.com/%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%83%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%AB%D9%85%D8%A7%D9%86%D9%8A-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%B2%D8%A7%D8%A6%D8%B1-

وبالتالي يمكننا القول وحسب كل تلك المعطيات السابقة والمقارنات أن الوجود العثماني كان إيجابي أكثر منه سلبي، وكان أقرب إلى الفتح من الاستعمار ، عكس تلك الروايات المشوهة التي أبطلها أبناء المدرسة الوطنية للتأريخ.

%D9%88%D8%B5%D8%A7%D9%84-%D9%84%D8%A7-
%D8%A7%D8%AD%D8%AA%D9%84% ، يوم 17 ماي 2022

خاتمة

خاتمة:

من خلال دراستي لموضوع الوجود العثماني في الجزائر وجدلية الحماية أم الاحتلال عرض لآراء مؤرخين فرنسيين وجزائريين تبين لي أن الجزائر قبل الوجود العثماني خلال المرحلة بين سقوط الموحدين ومجيء العثمانيين كانت مقطعة الأوصال، لأن دولة بني عبد الواد كانت تتموقع غرب الجزائر وفي معظم مراحلها التاريخية لم تستطع أن تحمي نفسها ولا حماية الأندلسيين الفارّين من محاكم التفتيش عقب سقوط غرناطة، كما استطعت أيضا أن استشف النتائج التالية:

- سقوط غرناطة في 02 جانفي 1492 كان بمثابة بداية لأحداث جديدة غيرت مجرى التاريخ في المنطقة خصوصا وفي العالم الإسلامي عموما ، وكانت بداية الشرارة للغزو الايبيري للسواحل الجزائرية .
- الغزو الايبيري للسواحل الجزائرية كان مبيتا وبخلفية صليبية مسيحية بحتة ولم يكن وليد الصدفة أو قذفته تجاذبات الأحداث، وكان بأسباب أمنية سياسية واقتصادية ودينية وحتى ثقافية
- الوضع الاقليمي المحيط بالجزائر في تلك الفترة كان أفضل من وضع الدولة الزيانية وهنا الحديث عن الحفصيين في تونس و المرينيين في المغرب .
- مجيء الإخوة بربروس كان بطلب من السكان الجزائريين لصد الغزو الاسباني الذي عجزت عن صده القوى المحلية والقبائل المتناحرة وبقايا بنو زيان، وهو ما ينفي شبهة الاحتلال بطبيعة الحال.
- الوجود العثماني في الجزائر كان فعلا حماية لعدة اعتبارات من بينها تكوين دولة قومية وطنية بحدود سياسية واضحة وبتنظيم وتقسيم إداري منح لها صبغة الدولة ونقلها من التشتت والتمزق إلى الوحدة.

- لا يمكن تشويه الحكم العثماني بشبهات العصر الحديث كالتداول على السلطة أو شيء من هذا القبيل، فهي حماية لها سلبياتها.
- الوجود العثماني في الجزائر له العديد من السلبيات من بينها التفرد بالسلطة من طرف الأتراك إضافة إلى الإتاوات المرهقة والضرائب المفروضة على السكان.
- العثمانيون حافظوا على الهوية الجزائرية من خلال عدم فرض لغتهم وعدم فرض مذهبهم وكذلك بتواجدهم البشري القليل.

وكنتيجة عامة يمكن القول أن الوجود العثماني في الجزائر كان حماية أملتها عوامل داخلية وخارجية وعززتها أواصر وروابط دينية وتاريخية، على الرغم مما يشوبها من سلبيات، ويبقى هذا الموضوع الجدلي مفتوحا للنقاشات والبحوث نظرا لتشعبه و حركيته الفكرية في أوساط المؤرخين الجزائريين والأجانب.

قائمة المصادر والمراجع

1- المصادر بالعربية :

ابن خلدون ،عبد الرحمان ، كتاب العبر الجزء 7 ، دار الفكر، بيروت ، لبنان، 2000

شالر ويليام ، مذكرات ويليام شالر القنصل الأمريكي بالجزائر1816-1824، تعريب اسماعيل العربي، سلسلة الدراسات الكبرى الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982

مذكرات بربروس خير الدين ، ترجمة محمد دراج، ط1، شركة الأصالة للنشر،الجزائر، 2010

الوزان حسن، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983

2- المراجع بالعربية :

بن اشنهو عبد الحميد ، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، دار الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 1972

بن نبي مالك ، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، 1986

التر عزيز سامح ، الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1989

جوليان شارل أندري ، تاريخ إفريقيا الشمالية ، الجزء الثاني الدار التونسية للنشر ، 1983

الجيلالي عبد الرحمان ، تاريخ الجزائر العام، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، 1965

خيري فارس محمد ، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط1، 1969

دراج محمد، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس ، تصدير ناصر الدين سعيدوني، الأصالة للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2012

رزوق محمد ، دراسات في تاريخ المغرب، ط1، الناشر إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1991

زقب عثمان ، جدلية التبعية والاستقلال في الجزائر العثمانية، الملتقى الدولي حول العلاقت الجزائرية التركية في ميزان التاريخ والسياسة والثقافة والاقتصاد، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014

سبنسر ويليام ، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، دار القصبة للنشر، 2006

سعد الله ابو القاسم ، ابحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط2، دار البصائر للنشر والتوزع، الجزائر، 2007

سعد الله ابو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998

سعيدوني ناصر الدين ، دراسا وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، سلسلة الدراسات الكبرى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984

شوفالييه كورين ، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر1510-1541، ترجمة جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007

شويتام أرزقي ، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهيارها 1800-1830، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2011

عباد صالح ، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، دار هومة، الجزائر، 2012

العسلي بسام ، خير الدين بربروس وجهاده في البحر ،دار النفائس ، 1980

المحامي فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق احسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1981

المدني أحمد توفيق ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا1492 -1792، ط3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984

المدني أحمد توفيق ، محمد عثمان باشا داي الجزائر1766-1791، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986

الميلي محمد مبارك ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، الجزء الثالث ، مكتبة النهضة الجزائرية

3- المجلات :

بربورة حسن ، اشكالية نظام الحكم العثماني في الجزائر 1518-1830م، بين نظرة المدرستين التاريخيتين الفرنسية والجزائرية، المجلد 8، العدد3، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية،مركز الحكمة للبحوث والدراسات، الجزائر

بن يغزر احمد ، فترة الحكم العثماني بالجزائر في كتابات الأستاذ أبو القاسم سعد الله، مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، جامعة المسيلة، 2018

بوشنافي محمد، الكتابة التاريخية في الجزائر العهد العثماني نموذجا، مجلة العصور الجديدة، العدد 3-4، 2012

جوامع سالم ، الإخوة بربروس بين شرق وغرب البحر المتوسط، مطلع القرن 16م، قراءة جديدة في النشأة والمنجزات، المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات، المجلد3، العدد3، جامعة محمد الصديق بن يحي، جيجل، الجزائر، 2020

شوقي عبد الكريم ، الأوضاع السياسية بالجزائر في مطلع القرن السادس عشر ميلادي، وظروف انضوائها تحت راية الخلافة العثمانية، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد 12، العدد1، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2021

صديقي بلقاسم ، بدايات الوجود العثماني بالجزائر 1505-1519، مجلة مشكلات الحضارة، المجلد8، العدد2، جامعة الجزائر2 ابو القاسم سعد الله، الجزائر، 2020

عقيب سعيد ، دور خير الدين بربروسا في تثبيت الوجود العثماني بالجزائر، مجلة البحوث والدراسات، العدد 13، جامعة، الجزائر ، 2012

غربي الغالي ، عطاالله فشار، المدرسة التاريخية الفرنسية وموقفها من الوجود العثماني في الجزائر، مجلة دراسات وأبحاث، المجلة العربية في العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد26، 2017

لعرج جبران ، تقييم المؤرخ ابو القاسم سعد الله لفترة الحكم العثماني بالجزائر، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 3، جامعة حمة لخضر، الوادي، 2021

يعيش محمد ، بوعزيز جهيدة ، اشكالية البحث في طبيعة كتابة تاريخ الوجود العثماني في الجزائر، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، العدد10، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2016

4- الموسوعات :

الغنيمي عبد الفتاح مقلد ، موسوعة تاريخ المغرب العربي ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، المجلد 03 ، الجزء الخامس والسادس ، 1994

فهرس المحتويات

شكر وتقدير

إهداء

مقدمة.....أ

مدخل عام

أوضاع الجزائر قبل مجيء العثمانيين

.....6

1-الأوضاع السياسية قبل مجيء العثمانيين :.....9

أ الاحتلال الإسباني لسواحل لجزائر :.....14

2- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية قبيل مجيء العثمانيين : 23

3- الأوضاع الخارجية قبيل مجيء العثمانيين :.....25

الفصل الثاني

العثمانيون مراحل وخلفيات قدومهم إلى غرب المتوسط

.....32

1 – بداية نشاط الإخوة بربروس وقدومهم نحو لحوض الغربي للمتوسط ..32

أ – منشأ وبدايات الإخوة بربروس. 32

ب.– نشاط الإخوة بربروس في الحوض الغربي للبحر المتوسط 37

جـ. المحاولة الأولى لفتح مدينة بجاية: 39

2 – توسع نشاط الإخوة بربروس في الحوض الغربي للمتوسط: 40

أ – فتح جيجل1514 : 40

ب. – المحاولة الثانية لفتح مدينة بجاية 1514 م:: 42

ج – فتح مدينة الجزائر: 44

د – توجه أنظار عروج نحو غرب الجزائر : 49

هـ. – خير الدين يتولى لحكم : 52

و – الحملة الإسبانية على الجزائر: 53

3 – نتائج التواجد العثماني: 53

الفصل الثالث

عرض آراء المؤرخين الجزائريين والفرنسيين:

..... 57

1 – الرأي الأول: الوجود العثماني بالجزائر حماية. 57

2 – الرأي الثاني: الوجود العثماني بلجزائر احتلال. 64

3 -مقارنة بين لحماية والاحتلال. 68

خاتمة .....أأ

قائمة ا لمصادر والمراجع 77

فهرس المحتويات 82

ملخّص الدراسة

تطرقت في هذا العمل الأكاديمي المبسط إلى الوجود العثماني في الجزائر جدلية الحماية والاحتلال عرض لآراء مؤرخين فرنسيين وجزائريين (1519-1830) ، تساءلت فيه عن طبيعة الوجود العثماني في الجزائر من خلال إشكالية واضحة تضمنتها مقدمة هذا العمل تلتها تساؤلات فرعية سبق ذكرها .

وقُسّم هذا العمل إلى ثلاث فصول رئيسية بداية بمدخل عام لهذه المذكرة وضحت من خلالها الوضع الذي كانت فيه الجزائر على الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والخارجية في حين وضحت أسباب ومراحل وخلفيات قدوم العثمانيين إلى غرب المتوسط ثم أنهيت العمل بالآراء الخاصة بالأطروحتين ثم مقارنة أردت من خلالها واستهدفت الوضع قبل وبعد العثمانيين فالهدف الرئيسي كان تبيان الفروق بين قبل العثمانيين وبعدهم و إيجابيا تهم في حين يبقى الحكم النهائي والحقيقة المطلقة للتاريخ والقارئ الذي يحكم بنفسه مع توضيح الإيجابيات والسلبيات .

وقد تبين لي أن الوضع في الجزائر بعد العثمانيين كان أقرب للإيجابي رغم الاحتلال الفرنسي إلا أن الجزائر انتقلت من وضع الشتات إلى وضع الدولة الوطنية بحدود واضحة إضافة إلى إنقاذها من الغزو الإيبري الصليبي الظالم .

Dans cet ouvrage académique simplifié, j'ai abordé la présence ottomane en Algérie, la dialectique de la protection et de l'occupation, une présentation des regards des historiens français et algériens (1519-1830), dans laquelle j'ai questionné la nature de la présence ottomane en Algérie à travers une problématique claire insérée dans l'introduction de cet ouvrage, suivie de sous-questions évoquées précédemment.

Ce travail a été divisé en trois chapitres principaux, commençant par une introduction générale à ce mémorandum, à travers laquelle il a précisé la situation dans laquelle se trouvait l'Algérie sur les plans politique, économique, social et extérieur, tandis que les raisons, étapes et contextes de l'arrivée de les Ottomans à la Méditerranée occidentale ont été clarifiés Avant et après les Ottomans, l'objectif principal était de montrer les différences entre avant et après les Ottomans, et les questions positives, tandis que le jugement final et la vérité absolue de l'histoire et le lecteur qui se juge , avec clarification des points positifs et négatifs.

Il m'est apparu clairement que la situation en Algérie après les Ottomans était plus proche du positif, malgré l'occupation française.Cependant, l'Algérie est passée de la situation de la diaspora au statut d'État national aux frontières claires, en plus de la sauver. de l'invasion injuste des croisés ibériques.